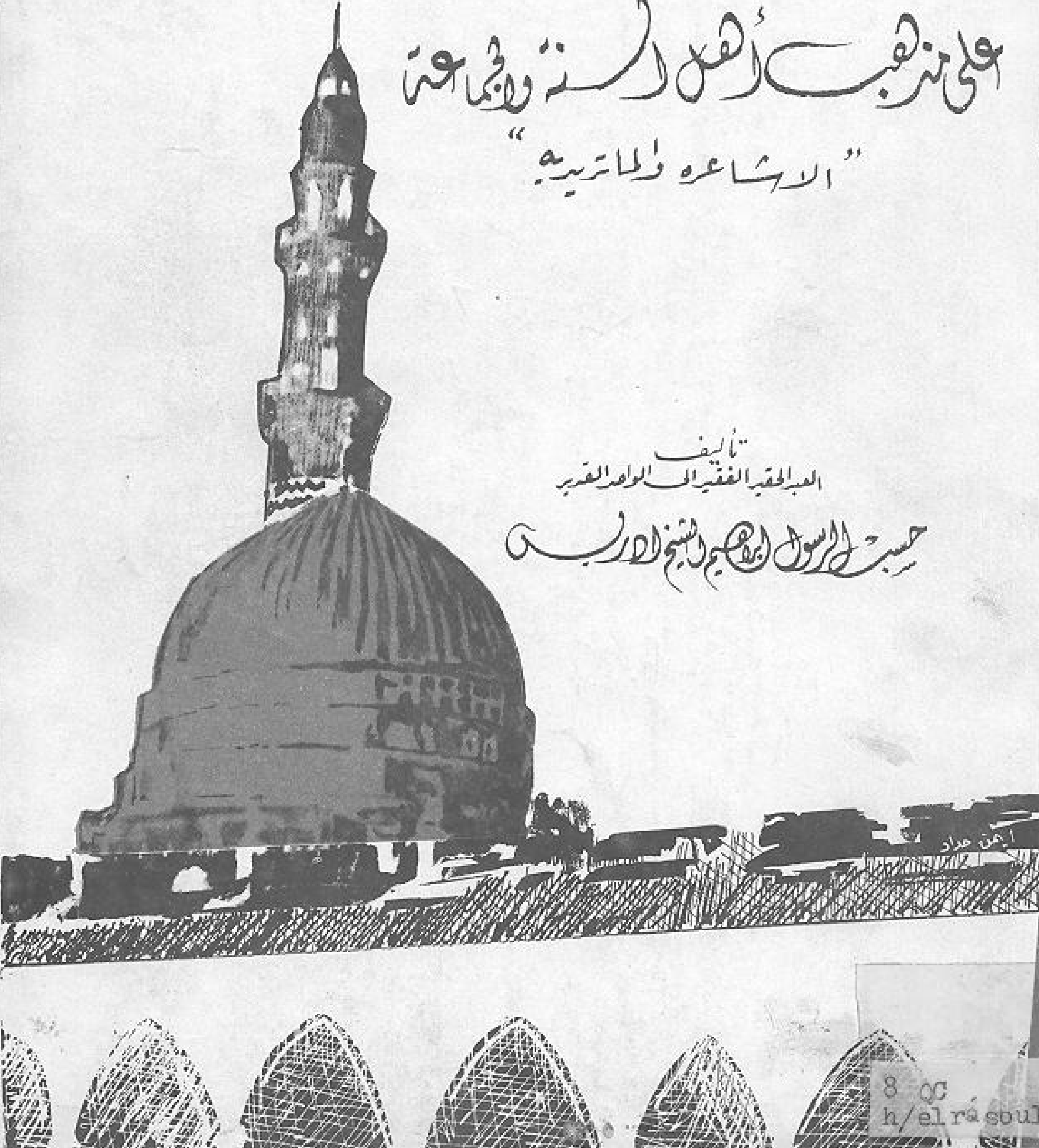
الموارد الهنية

لصفة الوحدانية

على مذهب أهل السنة والجماعة

"الأشاعرة والماتريدية"



تأليف

العبد الحقير الفقير إلى الواحد القدير

حسب الرسول إبراهيم الشيخ الإدريسي

الموارد الهنيّة

لصفة الوحدانيّة

على مذهب أهل السنة والجماعة

"الأشاعرة والماتريدية"

تأليف

العبد الحقير الفقير إلى الواحد القدير

حسب الرسول ابراهيم الشيخ الادريسي

الإهداء

* * *

أهدي هذا البحث الي إستاذي الوالد

المربي الشيخ الفكي الحسن محمد سالم أتحفه

الله بالرضوان وجزاه الله عنا في إحسانه الإحسان

والي كل من علمني حرفاً

جزاهم الله عنا خير الجزاء

****

(ركبت البحر وقصت في كل شيء نهي عنه

أهل العلم في طلب الحق فراراً من التقليد

والآن فقد رجعت وإعتقدت مذهب السلف)

امام الحرمين ابو المعالى عبد الملك الجوينى

المقدمة

الحمد لله الذى لا ينبغى الحمد إلا له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق الخلق بقدرته ، وهدى لتوحيده من شاء كيفما شاء ومتى شاء بإرادته ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ﴿ تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ (١) سبحانه سبحانه تنزه عن الضد والشريك وتقدس عن المثيل والشبيه وتعالت عظمته عن الاحاطة والشمول لا تحده الحدود والجهات ولا تحصره الاسماء والصفات ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (٢) لا يحيط مخلوق حق حقيقة ذاته تعالى إلا بالحيرة والدهشة عز وجل من قال ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٣)
جل شانه المبدىء المعيد الفعال لما يريد ،ذى العرش المجيد والبطش الشديد، الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها إلا من

---

١) سورة الانعام الآية (٥٧)

٢) سورة الانعام الآية (١٠٣)

٣) البقرة الآية (٢٥٥)

ألقى السمع وهو شهيد، والسالك بهم الى إتباع رسولهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وإقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد ، أما بعد : -

لما كان علم التوحيد هو أشرف العلوم على الاطلاق، وأن صفة الوحدانية هى أشرف صفات السلوب ومبحثها هو أشرف مباحث التوحيد لذا نسب علم العقائد كله اليها فسمى علم التوحيد نسبة لمباحث الوحدانية وأن صفة الوحدانية هى مدخل لكل عقائد الايمان إذ التوحيد كله ينبع من مشكاة واحدة وهى التنزيه والتسبيح والتقديس والتمجيد والذى أمرنا الله سبحانه وتعالى به فى محكم كتابه العزيز فى كثير من الآيات البينات كقوله تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ (١) وقوله :

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (٢) وقوله جل شأنه ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ (٣) وقوله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤)

وغيرها من الآيات البينات وما رواه الشيخان عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿أتانى جبريل

---

١) سورة الأعلى الآية (١)

٢) آل عمران الآية (١٨)

٣) محمد الآية (١٩)

٤) القصص الآية (٨٨)

فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، فقلت وإن زنى وإن سرق ، قال ﷺ وإن زنى وإن سرق ، قالها ثلاثاً ثم قال فى الرابعة على رغم أنف أبى ذر . لهذا أيها الطالب الربانى أقدم بين يديك هذا النذر الذى وفقت بحمد الله لجمعه وقد أسميته الموارد الهنية لصفة الوحدانية على مذهب أهل السنة (الأشاعرة والماتريدية) آملاً أن يوفقنى الله سبحانه وتعالى لمباحث أخرى لبقية صفات الذات العلية إن شاء الله تعالى ، وفقنا الله وإياك لما فيه رضاه وهدانا وهداك لما تحمد عقباه ونفع بمنه كل من نظر هذا البحث بعين الرضا أو درسه أو ساعد فى نشره أو على منواله نسج فقوم لحمته وسداه وإياه نستخير وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

حسب الرسول ابراهيم الشيخ ادريس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تفرد بوحدانية الذات والصفات والأفعال وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق الفعال، المنزه عن الند والمشارك والأمثال والصلاة والسلام على الرحمة المهداة سنى الخصال حبيب الله المصطفى سيدنا محمد الذى قال فيه الله تعالى :-

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣ ﴾ (١)

وقال جل وعلا :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (٢)

وأرضى اللهم عن الأصحاب أجمعين وعن آل البيت الشرفاء الطاهرين، وجميع عباد الله الصالحين، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين، ونسألك اللهم الهداية والتوفيق، وحسن الخاتمة لنا ولجميع المسلمين بمحض فيض فضلك العميم، وخصنا اللهم من خزائن منحك السنية يا أكرم مسئول بعلوم تقربنا إلى رضاك وتباعدنا عن سخطك وغضبك يامن أنت لطيف بعبادك، ولك فى كل يوم شأن وشئونك تبديها إلى العباد ولا تبتديها علماً وإرادة فكل شىء معلوم ومراد لك أزلاً تعز من

---

١) الشورى آية (٥٣)

٢) القصص آية (٥٦)

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ،
أمابعد :-

هذا شروع فى بيان مباحث صفة الوحدانية

الوحدانية صفة واجبة (١) لله تعالى ولا يعلمها حقيقة (٢) إلا الله تعالى وأما المقدار المطلوب من المكلف شرعاً تحصيله علماً وإعتقاده جزماً (٣) فتقول فيه هكذا :-
الوحدانية هى عدم التعدد فى الذات والصفات والأفعال ومعنى ذلك أن ربنا سبحانه وتعالى واحد فى ذاته وواحد فى صفاته وواحد فى الأفعال.فوحدانية الذات تنفى كمين (٤) كم متصل وكم منفصل .

فالكم المتصل فى الذات : (٥).

هو أنّ ذاته سبحانه وتعالى ليست مركبة من أجزاء ولامتعددة ومباحثة خمسة هى :-

---

١) واجبة أى ثابتة ثبوتاً لايقبل النفى بحال أزلاً وأبداً .

٢) حقيقة إلا الله تعالى لانه كما لايعلم حقيقة ذاته إلا هو كذلك لا يعلم حقيقة كنه صفاته إلا هو جل شأنه .

٣) جزماً . لآن العقائد لايصلح فيها إلا الإعتقاد الجازم وهو إدراك اليقين وأما إدراك الظن والشك والوهم فصاحبه علىغير إعتقادٍ سليم وكذا الجزم الغير مطابق للواقع .

٤) الكم هو العدد يقال كم عدد الناجحين فى الامتحان ؟ وكمين تثنية كم .

٥) الكم المتصل هو عدد فى صورة إتصال كتركب الأجسام والأجرام من جواهر فردية وهو عرض يقوم بمتصل الأجزاء .

تعريفة وتصويره ولازم التصوير ونفيه و المثبت من نفيه .

١/ تعريفه هو عرض يقوم بمتصل الأجزاء .

٢/ تصويره هو تركب الذات العلية من أجزاء.

٣/ لازم تصويره وهو الجسمية .

٤/ نفيه إن ذاته سبحانه وتعالى ليست مركبة من أجزاء ولا متعددة .

٥/ المثبت من نفيه و الذى يجب على المكلف إعتقاده جزماً هو عدم تركب الذات العلية من أجزاء .

الكم المنفصل عن الذات : (١).

الكم المنفصل عن الذات ليس فى الوجود من له ذات كذاته سبحانه وتعالى ـ ومباحثه خمسة هى :-

تعريفه وتصويره ولازم التصوير ونفيه و المثبت من نفيه .

١/ تعريفه هو عرض يقوم بمنفصل الأجزاء .

٢/ وتصويره وهو وجود ذات تشابه ذاته تعالى .

٣/ لازم التصوير هو تعدد القدماء.

٤/ نفيه ليس فى الوجود من له ذات كذاته سبحانه وتعالى .

٥/ المثبت من نفيه و الذى يجب على كل مكلف إعتقاده جزماً هو عدم وجود ذات تشابه ذاته سبحانه وتعالى .

---

١) الكم المنفصل هو عدد فى صورة إنفصال .

وحدانية الصفات

وحدانية الصفات تنفى كمين كم متصل (١) وكم منفصل .

الكم المتصل فى الصفات :

الكم المتصل فى الصفات أنه ليس له سبحانه وتعالى صفتان من نوع واحد كقدرتين أو إرادتين أو علمين فأكثر ومباحثه خمسة هى :-

١/ تعريفه :- هو عرض يقوم بمتصل الأجزاء ، قال الشيخ ابراهيم البيجورى رضى الله عنه وعنا به :-

(لما كان تعدد الصفات للذات العلية من نوع واحد يشابه التركيب فى الإستحالة جاز أن يطلق عليه كم متصل)

فإطلاق الكم المتصل على تعدد الصفات للذات من نوع واحد مجازاً .

٢/ تصويره :- هو تعدد الصفات للذات العلية من نوع واحد كقدرتين أو إرادتين أو علمين فأكثر .

٣/ لازم التصوير :- هو العجز مباشرة أو بمرتبة أو أكثر .

٤/ نفيه :- هو أنه ليس له سبحانه وتعالى صفتان من نوع واحد كقدرتين أو إردتين أو علمين فأكثر .

٥/ المثبت من نفيه والذى يجب على المكلف إعتقاده جزماً هو عدم وجود صفتين لله سبحانه وتعالى من نوع واحد

---

١) هو عدد فى صورة إتصال كما تقدم

كقدرتين أو إرادتين أو علمين فأكثر وإن تعدد الصفات للذات كإتصافه جلّ وعلا ،

بالقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فثابت. ويجب إعتقاد أنه تعالى موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال سبحانه وتعالى عظمت ذاته وصفاته ودام إمتنانه .

الكم المنفصل عن الصفات :-

الكم المنفصل عن الصفات أنه ليس فى الوجود من له صفة كصفته تعالى ومباحثه خمسة هى :-

١/ تعريفه :- هو عرض يقوم بمنفصل الأجزاء.

٢/ تصويره :- هو ثبوت صفة لغيره تعالى كصفته .

٣/ لازم التصوير :- وهو المماثلة .

٤/ نفيه :- هو ليس فى الوجود من له صفة كصفته تعالى .

٥/ المثبت من نفيه والذى يجب إعتقاده جزماً :-

هو عدم (١) ثبوت صفة لغيره تعالى كصفته .

---

١) عدم أى مدلول عدمى فما يعتقد هو أمر عدمى فالوحدانية هى من الصفات السلبية التى تسلب أمراً لايليق بجلال الله سبحانه وتعالى .

وحدانية الأفعال

وحدانية الأفعال تنفى الكم المنفصل عن الأفعال كيفما كان والمتصل إذا صور بالمشاركة - فالكم المنفصل عن الأفعال إذا أردت أن تنسب للعباد أفعالاً مجازاً بمعنى كسباً واكتساباً فتقول ليس فى الوجود من له فعل كفعله تعالى، وإذا نظرت الى حقيقة الأمر وأنّ الفاعل حقيقة هو الله سبحانه وتعالى فتقول ليس فى الوجود من له فعل مع الله سبحانه وتعالى ومباحثه خمسة هى :-

تعريفه وتصويره ولازم التصوير ونفيه والمثبت من نفيه .

١/ تعريفه :- هو عرض يقوم بمنفصل الأجزاء.

٢/ وتصويره :- هو ثبوت فعل لغيره تعالى حقيقة .

٣/ لازم التصوير :- هو المشاركة .

٤/ ونفيه :- هو ليس فى الوجود من له فعل مع الله حقيقة .

٥/ المثبت من نفيه :- والذى يجب على المكلف إعتقاده جزماً :-

هو عدم ثبوت فعل لغير الله حقيقة .

فالكم المنفصل عن الأفعال يدور مبحثه فى الأفعال الإختيارية للمكلفين وهى التى يجب فيها مراعاة العقيدة والشريعة أو الباطن والظاهر أو الحقيقة والمجاز .

فالعقيدة والحقيقة والباطن هى ألفاظ متغايرة ومعناها واحد هو أن الفاعل حقيقة هو الله تعالى وهو واحد فى الأفعال لافعل لغيره حقيقة لا استقلالاً ولا مشاركة يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل .

والشريعة والمجاز والظاهر أيضاً ألفاظ متغايرة ومعناها واحد وهى عبارة عن مقارنة المكلفين لأفعالهم الإختيارية المسماه بالكسب والاكتساب جلّ من قال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (١) و ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (٢) لهذا فإن أفعال المكلفين الإختيارية واقعة بقدرة البارىء سبحانه وتعالى خلقاً وإبداعاً وقدرة العبد الحادثة ليس لها إلا المقارنة الظاهرية كسباً وإكتساباً ولمباينة الكسب للخلق عرف كل منهما بثلاثة تعاريف هى :-

تعريف الخلق :-

(١) الخلق هو تعلق القدرة التنجيزى الحادث بالمقدور ويسمى خلقاً وإيجاداً وإختراعاً وإبداعاً .

(٢) الخلق هو ما يقع به المقدور لا فى محل (٣) قدرته إيجاداً وإعداماً.

(٣) الخلق هو مايقع به المقدور مع صحة إنفراد القادر به إيجاداً وإعداماً .

---

١) المدثر الايه (٣٨)

٢) البقرة الآية (٢٨٦)

٣) لا فى محل قدرته : أى إن الله سبحانه وتعالى يخلق الأفعال حسب ماعلم أزلاً وأراد بقدرته فيما لايزال ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ بخلاف قدرة العبد الحادثة فإن لها محل إما معين كاليد والرجل وإما كلية العبد كقيامه وقعوده ومشيه وجريه وحركته وسكونه .

تعريف الكسب :

(١) الكسب هو تعلق قدرة العبد وإرادته الحادثة بفعله الإختيارى (١) من غير تأثير منه ولا مدخلية له فى وجوده .

(٢) الكسب هو مايقع به المقدور فى محل قدرته تعلقاً وإرتباطاً.

(٣) الكسب هو مايقع به المقدور بلا صحة إنفراد القادر به تعلقاً وارتباطاً.

هذا شروع فى بيان عقيدة الأفعال

فى هذه العقيدة المذاهب ثلاثة وهى :-

مذهب الجبرية - ومذهب القدرية - ومذهب أهل السنة رضوان الله عليهم وهو المذهب المختار الذى أجمعت عليه الأشاعرة والماتريدية .

(١) مذهب الجبرية :-

هم يقولون أن العبد لا مدخلية له فى فعل من الأفعال، لا حقيقة ولا مجازاً، ولا باطناً ولا ظاهراً، ولا كسباً ولا إكتساباً، ولا إختيار له فيه - لأن الأفعال كلها معلومة ومراده لله سبحانه وتعالى أزلاً ، وواقعه فيما لايزال بقدرته تعالى ولا مدخلية

---

١) الفعل الإختيارى :- هو الذى تقدمت عليه ميولات وقصودات قلبية، بخلاف الفعل الإضطرارى والذى ليس للعبد فيه كسب ولا إكتساب كالرعشة التى تعترى الأبدان أحياناً ولا يترتب عليها حكم شرعى .

للعبد فيها بل ولا يستطيع دفعها عنه وما مثاله إلا كريشة معلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما شاءت ولذا قال شاعرهم :

ماحيلة العبد والأقدار جارية
عليه في كل حين أيها الرائي
ألقاه في أليم مكتوفاً وقال له
إيّاك إيّاك أن تبتل بالمـــاء

لذا قالوا إذا كلفتموه ظلمتموه فكفروا بذلك والعياذ بالله العلي العظيم ووجه كفرهم من أحد وجهين هما تعطيل التكاليف الشرعية ونسبة الظلم الى الله سبحانه وتعالى لأنه هو المكلف حقيقة ولا ينسب الظلم إليه قط جلّ شأنه وعظم سلطانه ولأن الظلم لنا فيه تعريفان أحدهما ، الظلم وهو التعدي على حق الغير ، ومن له حق وملك مع الله تعالى حتى يتعدى عليه فيكون ظالماً .

والثاني هو أن الظلم وضع الأشياء أو الحقوق في غير محلها والمولى تعالى عالم حكيم يستحيل عليه وضع الأشياء في غير محلها المترتب عليه الجهل .. والجهل عليه تعالى مستحيل .

وقد رد على شاعرهم أحد شعراء أهل السنة رضوان الله عليهم أجمعين بقوله :-

إن حفه اللطف لم يمسسه من بلل
ولن يضر به تكتيف وإلقـــاء
وإن قضى المــــولى بغرقته
فهو الغريق وإن ألقى بصحراء

وقال آخر أيضاً :-

لايسألن الله فى أفعاله أبداً

فهو الحكيم بمنع أو بإعطاء

يخص بالفوز أقواماً فيرحمهم

وضد ذلك لا يخفى على الرائى

(٢) مذهب القدرية :-

وهم يقولون أن العبد يخلق أفعال نفسه الإختيارية بقدرة أودعها الله فيه؛ لأن كل من له فعل إختيارى فإن ربنا سبحانه وتعالى خلقه وخلق فيه قدرة ومكن تلك القدرة من أن تستقل بالفعل، ووضح له طريق الخير، وبين له طريق الشر، فإن سلك طريق الخير بالقدرة الممكنة يثاب، وإن سلك طريق الشر بالقوة المودعة الممكنة يعاقب.

فهم بهذا يكونون قد وجهوا التكاليف الشرعية على المكلفين ولكن أن نسبة وحدانية الأفعال لله تعالى لا أثر لها فى عبارتهم ولقد ذهب كثير من علماء الماتريدية وبعض علماء الأشاعرة الى تكفيرهم بل جعلوا المجوس أسعد حالاً منهم لأنهم لم يكفروا إلا بإلاهين إله خير وإله شر وأما هؤلاء قد عددوا الآلهة وجعلوا كل واحد إله فى نفسه يستقل بالفعل، والمعتمد أنهم فساق بالعقيدة والعياذ بالله العلى العظيم وذلك لما نسبوه من أن الله خلق العبد وخلق قدرته الحادثة ومكن تلك القدرة من أن تستقل بالفعل ولكن بشرط إعتقادهم أن الله تعالى إذا شاء جعل العبد بدونها فلا يستطيع العبد أن يفعل ما يشاء ويريد إلا بمشئة الله تعالى

جل من قال :-

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١).

وما عزى الى إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك الجوينى رضى الله عنه :

هو أن قدرة العبد جزء مؤثر لا إستقلالاً .

ومانسب الى الأستاذ والقاضى أبوبكر الباقلانى أيضاً هو:-

إن قدرة العبد تؤثر فى أخص وصف الفعل إستقلالاً ، أى كون خالقية الفعل لله تعالى وأما كونه طاعة أو معصية فمن عند العبد .

فهؤلاء الأئمة هم من أئمة أهل السنة الذين شهدوا لهم بالعلم والإستقامة والرسوخ .. وفى الرد على هذه المزاعم قيل إنه مدسوس عليهم هذه العبارات فلا تعتقد ، وكذلك على فرض صحة أنهم قالوا ذلك ، فالإعتقاد المنجى خلاف ذلك وهو مذهب أهل السنة والجماعة وهم الأشاعرة والماتريدية رضوان الله عليهم أجمعين ونفعنا بعلومهم آمين

(٣) مذهب أهل السنة :-

هم يقولون لإثبات عقيدة الأفعال فلا بد من إثبات حقائق أربع لله تعالى وهى :-

١/ حقيقة أن العبد مخلوق لله تعالى فهو خالقه ومبدعه ومبرزه من العدم الى الوجود بلا إستحقاق له عليه تعالى جل من قال :-

---

١) التكوير الآية (٢٩)

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١)

٢/ ونسبة خالقية ميولات العبد وقصوداته المتقدمة على الفعل والتى بها صار الفعل إختيارياً لله تعالى جل من قال :-

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢)

٣/ ونسبة خالقية فعل العبد الإختيارى لله تعالى جل من قال :-

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

٤/ ونسبة خالقية قدرة العبد المقارنة لفعله الإختيارى لله تعالى وقد إختلف فى هذه المقارنةالتى توضع عليها التكاليف الشرعية هل هى أمر إعتبارى (٤) ولا تحقق لها أم هى من قبيل الأحوال عند من يقول بالحال فيكون لها تحقق فى خارج الأذهان وعلى ذلك الخلاف فإذا

---

١) سورة البقرة الآية (٢٨)

٢) سورة الإنسان الآية (٣٠)

٣) سورة الصافات الآية (٩٦)

٤) أمر إعتبارى : الإعتبار هو ما كان فى داخل الذهن ولا تحقق له فى خارجه وينقسم الى قسمين إعتبار إنتزاعى وإعتبار إختراعى فالإعتبار الإنتزاعى هو الذى لايحتاج الى فرض الفارض ولا إعتبار المعتبر كإعتبارك لشىء موجود . وأما الإعتبار الإختراعى هو الذى يحتاج الى فرض الفارض وإعتبار المعتبر كإعتبارك لشىء غير موجود كإعتبارك شجرة من ذهب وبحر من دم ، وهكذا.

مشينا على أن المقارنة الظاهرية هى أمر إعتبارى فيكون لا تحقق لها حتى تنسب أنها مخلوقة لله تعالى وعليه فبنسبه أن الحقائق الأربعة المتقدمة مخلوقة لله تعالى ، نكون قد أوضحنا عقيدة الأفعال وأن لا فعل لغير الله حقيقة وبنسبة مقارنة العبد لفعله الإختيارى وعلى هذه المقارنة الإعتبارية الظاهرية المسماة بالكسب والإكتساب بنيت التكاليف الشرعية والثواب والعقاب ودخول الجنة والنار .

وإذا مشينا على أن المقارنة الظاهرية هى من قبيل الأحوال (١) عند من يقول بالحال فتكون حقيقة خامسة نسبة خالقيتها لله سبحانه وتعالى وفى تكليفه تعالى لخلقه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٢).

تنبيه :

إعلم إن تقديم خالقية العبد على فعله الإختيارى فظاهر وتقديم ميولاته وقصوداته والتى يصير بها الفعل إختيارياً على الفعل فظاهر ، وجرى الخلاف فى الفعل والقدرة المقارنة له هل القدرة المقارنة متقدمة على الفعل ؟ بناءاً على أن العرض يبقى زمانين فأكثر أو هما مخلوقان لله دفعة واحدة ؟ بناءاً على أن العرض لايبقى زمانين وهو المعتمد هنا ، لأن

---

١) الحال هو الواسطة بين الأمر العدمى والأمر الوجودى وسبوتاته أربعة ثابت فى نفسه وثابت فى اللفظ وثابت فى الذهن وثابت خارج الذهن . وله تحقق . وهو ماكان خاج الذهن ولكنه لايرى بالعين .

٢) سورة الأنبياء (٢٣)

لايتوهم أن لقدرة العبد المقارنة أدنى تأثير فى خالقية الفعل وإنما لها المقارنة الظاهرية فقط ولذا جاء النصب والإعياء والتعب بمجرد مقارنة العبد لفعل الله تعالى جل من قال :ـ

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ (١)

صدق الله العظيم فسبحان اللطيف بعباده الذى لايكلف نفساً إلا وسعها إحساناً ولطفاً وجل وعلا الرحمن الرحيم اللطيف الخبير الذى دبر العباد بما علم أزلاً وأراد، وسبحان من عظمت ذاته وصفاته ودام إمتنانه الذى جعل الليل لباسا والنهار معاشا وجل وعلا من قال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴾ (٢)

اللهم بمحض فضلك ألطف بنا فيما جرت به المقادير وأجعلنا مصدراً للخيرات إنك على كل شىء قدير .

تنبيه :ـ

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب أنه كما لاتأثير للعبد فى أفعاله الإختيارية وإنما له المقارنة الظاهرية فقط، كذلك لا تأثير للأسباب العادية فى مسبباتها وإنما لها المقارنة الظاهرية أيضاً وفى هذه العقيدة المذاهب خمسة وهى :ـ مذهب أهل السنة والجماعة رضى الله عنهم ومذهب أهل الطبيعة ومذهب أهل العلة ومذهب القدرية ومذهب جهلة المؤمنين .

---

١) سورة الشورى الآية (١٩)

٢) سورة فاطر الآية (١٥) الى (١٧)

مذهب أهل الطبيعة :ـ

وهم يقولون أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها من طبعها مع توفر الشروط وإنتفاء الموانع، فالنار تحرق من طبعها والسكين تقطع من طبعها، والماء يروى من طبعه، وهكذا كل الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها من طبعها، وهم كفار بالعقيدة والعياذ بالله العلى العظيم . وموجب الكفر هو إعتقاد التأثير لغير الله تعالى .

مذهب أهل العلة :ـ

وهم يقولون أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها عن طريق العلة فالنار علة فى الإحراق والسكين علة فى القطع والطعام علة فى الشبع وهكذا فهم كفار بالعقيدة أيضاً والعياذ بالله العلى العظيم . وعلة الكفر أيضاً التأثير لغير الله تعالى .

مذهب القدرية :ـ

وهم يقولون أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها بقوة أودعها الله فيها، والربط عادى يصح تخلفه فربنا سبحانه وتعالى خلق النار ومكن فيها قدرة على الإحراق وخلق السكين ومكن فيها قدرة على القطع وهكذا والمعتمد أنهم فساق بالعقيدة والعياذ بالله العلى العظيم . قال الشيخ الدرديرى رضى الله عنه فى الخريدة البهية للرد عليهم :ـ

ومن يقل بالطبع أو بالعلة

فذاك كفر عند أهل الملة

ومن يقل بالقوة المودعة

فــــذاك بدعى فلا تلتفت

مذهب جهلة المؤمنين :-

وهم يقولون أن الله تعالى خلق الأسباب والمسببات، وربط بينهما ربطاً عقلياً لا يصح تخلفه فربنا سبحانه وتعالى خلق النار وخلق الإحراق وربط بينهما ربطاً عقلياً لا يصح تخلفه .. وهكذا .. وإعتقادهم هذا لا كفر فيه لأنهم نسبوا عقيدة الأفعال لله تعالى، ولكن هذا الربط العقلى قد يجرهم الى إنكار الامور الخارقة للعادة، أو الى إنكار عقيدة من السمعيات، وأحوال القيامة فيؤدى الى الكفر والعياذ بالله السميع البصير .

مذهب أهل السنة رضوان الله عليهم أجمعين :-

وهو المذهب الذى عليه الإعتقاد وهم يقولون أن ربنا سبحانه وتعالى خلق الأسباب والمسببات وربط بينهما ربطاً عادياً يصح تخلفه فالله تعالى خلق النار وخلق الاحراق وربط بينهما ربطاً عادياً يصح تخلفه كما تخلف لسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام جل من قال :-

﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (١) وخلق السكين وخلق القطع وربط بينهما ربطاً عادياً يصح تخلفه كما تخلف لسيدنا الذبيح إسماعيل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام جل من قال :-

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيْنَـٰهُ

---

١) سورة الأنبياء الآية (٦٩)

﴿بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ (١)

هذا كله مباحث الكم المنفصل عن الأفعال وأما الكم المتصل فى الأفعال فإذا صور بتعدد الأفعال لله سبحانه وتعالى فيكون ثابت لأن أفعال الله تعالى كثيرة ومتعددة ومتنوعة من إيجاد وإعدام وخلق وإبداع كخلق السموات والأرض ومافيهن وخلق العرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة ومانعلمه وما لايعلمه إلا الله تعالى .

وإذا صور بالمشاركة فيكون منفى وله مباحث خمسة وهى :ـ

تعريفه وتصويره ولازم التصوير ونفيه والمثبت من نفيه :ـ

١/ تعريفه هو عرض يقوم بمتصل الأجزاء .

٢/ تصويره وهو مشاركة غيره له تعالى فى فعل من الأفعال .

٣/ لازم التصوير وهو العجز.

٤/ نفيه هو أن ليس فى الوجود من له مشاركة لله تعالى فى فعل من الأفعال .

٥/ المثبت من نفيه :ـ هو عدم مشاركة غيره له تعالى فى فعل من الأفعال .

تنبيه :ـ

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب أنه كما أن الكموم الستة منفية بالوحدانية إلا الكم المتصل فى الأفعال إذا صور بتعدد الأفعال لله تعالى . فأنه ثابت كما تقدم ـ فكذلك أنواع الشرك وإصول الكفر كلها منفية بالوحدانية .

---

١) سورة الصافات من (١٠٣) الى (١٠٧)

أنواع الشرك

الشرك فى لغة العرب هو إدخال الند وفى الإصطلاح هو عبارة عما يوجب الكفر وإنواعه ستة وهى :-

شرك إستقلال وشرك تبعيض و شرك تقريب وشرك تقليد وشرك أسباب وشرك أغراض.

(١) شرك الإستقلال :-

هو شرك المجوس فى إعتقادهم أن للكون إلاهين إله خير مستقل ويسمى يزدان ويعبر عنه بالنور وإله شر مستقل يسمى أهرمن وبعبر عنه بالظلمة ولذا أوقدوا النار مشاكلة للنور ونصرة لإله الخير على إله الشر فكانت لهم بيوت النار التى منها نار فارس التى أوقدت ألف عام لم تخمد لحظة وقد خمدت يوم مولده إرهاصاً لنبوته عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

ومن ضمن عبثهم إنهم يزعمون أن إله الشر نشأ من فكرة إله الخير وذلك أن إله الخير فكر وقال من نازعنى فى مملكتى كيف حالى معه ؟ فنشأ من ذلك إله الشر فخاصمه وأبعده وقد أبطلت هذه الدعوة الفاسدة وقيل لهم : إذا كانت هذه الفكرة خيراً كيف ينشأ منها إله الشر وإذا كانت الفكرة شراً كيف تنشأ من إله الخير فثبت منطقياً أن هذا الإعتقاد عبث وفساد .

(٢) شرك التبعيض :-

كشرك النصارى فى إعتقادهم أن الله سبحانه وتعالى ثالث ثلاثة، أو كونه سيدنا عيسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم هو أبن الله، أو مجموع الثلاثة وهم ربنا سبحانه وتعالى والسيدة مريم رضى الله عنها وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام هم إله واحد جل من قال ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (١)

ولله در بعضهم فى قوله رداً على النصارى فى زعمهم أن سيدنا المسيح عيسى أبن مريم إبن الله :-

عجباً للمسيح بين النصارى (٢)

والى أى والد نسبوه

أسلموه الى اليهود وقالوا

أنهم بعد قتلهم صلبوه

فإذا كان مايقولونه حقاً

فسألوهم أين كان أبوه

---

١) سورة النساء الآية (١٧١)

(٢) الشيخ شرف الدين البصيرى

إذا كان راضياً بقضاءهم

فأشكروهم لأجل ماصنعوه

وإذا كان ساخطاً بقضاءهم

فأعبدوهم لأنهم غلبوه

فالنصارى إنقسموا الى أربع طوائف :-

ملكانية - ويعقوبية - وإسرائلية - ونسطورية .

فالملكانية هى الطائفة التى كانت على الإعتقاد الصحيح فى أن الله سبحانه وتعالى الخالق الفعال المنزه عن كل نقص الموصوف بكل كمال وإن سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وكلمته التى ألقاها الى مريم وقد إنقرضت هذه الطائفة منذ عهد بعيد ومن بقى منهم الى ظهور الإسلام أسلم وحسن إسلامه كسيدنا تميم أبن أوس الدارى والنجاشى وكعب الأحبار وغيرهم ممن أسلموا وحسن إسلامهم فلله درهم ورضى الله عنا وعنهم إنه قريب مجيب .

أما بقية الطوائف فغيروا وبدلوا وبعضوا فضلوا وأضلوا وهم على غير الإعتقاد الصحيح ، هذا ولما سئلوا لماذا إخترتم التثليث على غيره ؟ قالوا لأن الأغانيم ثلاثة وهى :-

أغنوم الوجود المعبر عنه بالأب وأغنوم العلم المعبر عنه بالإبن والكلمة وأغنوم الحياة المعبر عنه بروح القدس لذا فهم يقولون (بإسم الأب والإبن والروح القدس إله واحد آمين) . تعالى الله علواً كبيراً ولقد قالوا إن هذه الأغانيم الثلاثة يتوقف عليها الخلق والإبداع ولقد رد عليهم أن

الخلق والإبداع يتوقف على القدرة والإرادة ، وربنا سبحانه وتعالى موصوف أزلاً وأبداً بالقدرة والإرادة فهو جل شأنه قادراً ومريداً يفعل مايشاء وليس لأحد إستحقاق عليه تعالى فى فعل من الأفعال .

(٣) شرك التقريب :-

هو شرك متقدمى الجاهلية فى عبادتهم للأصنام ولما سئلوا لماذا تعبدون الأصنام قالوا ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ (١) ولذا سمى بشرك التقريب .

(٤) شرك التقليد :-

هو كشرك متأخرى الجاهلية فى تقليدهم الى آبائهم فى عبادة الأصنام ولما سئلوا عن عبادتهم للأصنام قالوا ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (٢).

(٥) شرك الأسباب :-

كشرك أهل الطبيعة فى إعتقادهم أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها من طبعها وشرك أهل العلة فى إعتقادهم أن الأسباب العادية تؤثر فى مسبباتها عن طريق العلة كما تقدم .

---

١) سورة الزمر الآية (٣)

٢) سورة الزخرف الآية (٢٢)

(٦) شرك الأغراض :-

وهو الرياء بالأعمال الصالحة وإن لم يكن الرياء بالأعمال الصالحة موجباً للكفر ولكن نسبة لثماجته وقبحه عد من أنواع الشرك فهو الشرك الأصغر والذى هو محبط لثواب الأعمال لأن قبول الأعمال والإثابة عليها بمحض فضل الله وبشرط الإخلاص فيها.

وقد إختلف هل الرياء هو مبطل لثواب العمل والعمل أيضاً أم هو مبطل لثواب العمل فقط وهو التحقيق لأن صحة الأعمال وبطلانها يتوقف على إستوفاء الشروط والأركان وأما القبول والجزاء والإثابة عليها فهى التى تتوقف على الإخلاص فيها فكل ما كان العبد بعيداً عن الرياء مخلصاً لله تعالى فى عمله كلما كان له الثواب الجزيل وكلما زاد إخلاصه زاد ثوابه وهكذا فالإخلاص من صميم أعمال القلوب . وهو سرٌ بين العبد وربه لايطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده فيجب على كل مكلف أن يخلص فى أعماله الصالحة ما أمكنه وأن لايترك الأعمال الصالحة خشية الرياء لكى لايلاقى الله تعالى بلا عمل جلّ من قال :-

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

---

١) سورة التوبة الآية (١٠٥)

وصلى على سيدنا محمد الذى قال :ـ
(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو إمرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) .ـ رواه الشيخان .

هذا شروع فى بيان أصول الكفر

الكفر فى لغة العرب هو الستر والتغطية وفى الإصطلاح هو الجهل بالله تعالى وإصوله ستة وهى :ـ
الإيجاب الذاتى ـ والتحسين العقلى ـ والتقليد الردىء ـ والجهل المركب ـ والربط العادى ـ والأخذ بظاهر الكتاب والسنة من غير بصيرة . وزاد بعضهم الجهل بالقواعد العقلية وهى الواجب والمستحيل والجائز .

(١) الإيجاب الذاتى :ـ

هو إسناد الكائنات اليه تعالى على سبيل التعليل والطبع .

(٢) التحسين العقلى :ـ

هو كونه أفعاله واحكامه متوقفة على الأغراض أى جلب المصالح فربنا سبحانه وتعالى يستحيل عليه الأغراض فى الأفعال والأحكام فالغرض هو الباعث والحامل والدافع على الفعل أو الحكم ، وليس هناك باعث لله فى حكم من الأحكام لأنه فاعل بالإختيار المطلق وليس لأحد إستحقاق على الله سبحانه وتعالى فى فعل من الأفعال جل من قال : ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[١] فهو فعال لما يريد وهو على كل شىء قدير وفق ما علم واراد أزلاً يفعل ما يشاء ويختار ، ولكن أفعاله جل شانه وأحكامه لا تخلو من الحكم المنطوية تحت الأفعال والأحكام . وقد يطلع الله سبحانه وتعالى بعض عباده على الحكم المنطوية تحت الأفعال والأحكام جل شأنه وعظم سلطانه يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم .

(٣) التقليد الردىء :ـ

هو متابعة الغير لأجل الحمية والعصبية من غير طلباً للحق كتقليد متأخرى الجاهلية لمتقدمى الجاهلية فى عبادة الأصنام لقوله تعالى حكاية عنهم ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا

---

١) البروج الآية (١٦)

﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (١) صدق الله العظيم .

(٤) الجهل المركب :ـ

هو إعتقاد الشيء على خلاف ماهو عليه وهو أن يجهل الشي ويجهل جهله به كما قال بعض العارفين : ـ (٢) .

جهلت ولم تدر بأنك جاهل
فمن لي بأن تدري أنك لا تدري
إذا جئت في كل الامور بغمة
فكن أرضاً يطاك الذي يدري
إذا أنت لم تدر ولم تك بالذي
يسأل من يدري فكيف إذاً تدري

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري
وإنك لا تدري بأنك لا تدري

---

١) سورة الزخرف الآية (٢٢)

٢) قيل تعزى لسيدنا الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه

(٥) الربط العادى :ـ

هو إثبات التلازم بين أمر وأمر وجوداً وعد ما بواسطة التكرار وإقسامه أربعة :ـ

ربط وجود بموجود - وربط عدم بعدم - وربط عدم بوجود - وربط وجود بعدم ومثالها كالآتى :ـ

١) ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل عادة .

٢) وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل عادة .

٣) ربط عدم بوجود كربط عدم البرد بوجود الغطاء عادة .

٤) وربط وجود بعدم كربط وجود البرد بعدم الغطاء عادة .

وهو أصل فى كفر أهل الطبيعة وأهل العلة كما تقدم .

(٦) الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من غير بصيرة :ـ

هو التمسك فى إصول العقائد الدينية بمجرد ظاهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية ولا القواطع الشرعية .

تنبيه :

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب أن كل ما جاء من المتشابه فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ يجب صرفه عن ظاهره وعرضه وإرجاعه للبراهين العقلية والقواطع الشرعية وذلك أن العقائد لايصلح فيها إلا ما كان قطعى الثبوت وقطعى الدلالة فكل ما كان قطعى الثبوت قطعى الدلالة هو المحكم الذى تدور عليه رحى العقيدة والشريعة وكل ما كان بخلاف ذلك فهو المتشابة يجب صرفه عن ظاهره إذا أوهم المستحيل وإخضاعه للبراهين العقلية والقواطع الشرعية . جل وعلا من قال :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (1)

قال الشيخ إبراهيم اللقانى رضى الله عنه فى جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهم التشبيها
أوله أو فوض ورم تنزيها

وفى صرف المتشابه عن ظاهره طريقتان هما :

طريقة السلف - وطريقة الخلف .

---

١) سورة ال عمران الآية (٧)

(١) طريقة السلف :-

وهم من كانوا قبل الخمسمائة وقيل هم أل القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وهم خير القرون لقوله ﷺ :-
(خير القرون قرنى ثم الذى يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الى ثلاثة وفى رواية الى أربعة) وهم رضى الله عنهم يصرفون المتشابه عن ظاهره ويفوضون المراد من النص الموهم الى الله تعالى ويسلموا تسليماً . ومنهم من أول كإبن عباس رضى الله عنهما .

(٢) طريقة الخلف :-

وهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل هم من كانو بعد القرون الثلاثة وهم يصرفون النصوص المتشابهة عن ظواهرها بما يوافق البراهين العقلية والقواطع الشرعية فطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيدٍ من الايضاح والرد على الخصوم وهى الأرجح .

وطريقة السلف أحوط وأسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مرادٍ الى الله تعالى .

فيتضح مما تقرر أن السلف والخلف هم متفقون على التأويل الاجمالى وأنهم يصرفون النص الموهم للمحال عليه

تعالى عن ظاهره لكنهم إختلفوا بعد ذلك فى تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين بناء على الوقوف على قوله تعالى :- ﴿والراسخون فى العلم﴾ فيكون معطوف على لفظ الجلالة وعلى هذا فنظم الأية الكريمة يكون هكذا : - ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم - وجملة يقولون آمنا به حينئذ مستأنفة لبيان سبب إلتماس التأويل أو الوقوف على قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وعلى هذا فقوله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به الى الآخر إستئناف .. ذكر مقابلة فى قوله :-

فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله الى الآخر ... أى كالمجسمة فمنهم من قال أنه على صورة شيخ كبير ومنهم من قال أنه على صورة شاب حسن الوجه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والحاصل أنه إذا ورد فى القران أو السنة مايشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح . إتفق أهل الحق وغيرهم ماعدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ماذكر بحسب ظاهره فمما يوهم الجهة قوله تعالى :-

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (١) .. فالسلف يقولون فوقية لا نعلمها والخلف يقولون المراد بالفوقية التعالى فى العظمة أى فوقية معنوية بمعنى تنزه الله تعالى عن كل نقص وإتصف بكل كمال يليق بجلاله لا فوقية حسية بمعنى الجهة وذلك عليه تعالى مستحيل وعليه فالمعنى يخافون أى الملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه فى العظمة تعالى الله وعظم سلطانه .. ومنه قوله تعالى :ـ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (٢) صدق الله العظيم. فالسلف يقولون إستواء لا نعلمه والخلف يقولون المراد به الإستيلاء والقهر والملك كما قال الشاعر :ـ

وقد إستوى بشر على العراق

من غير سيف ولادم مهراق

وعليه فالرحمن على العرش إستوى أى قهر وإستولى وملك من غير منازعة أى أن العرش منذ أن أوجده الله تعالى مقهور بسلطانه عز وجل وما سوى العرش أولى بالقهر والإستيلاء والملك لما قيل أن الأرض كلها بالنسبة لسماء الدينا كحلقة فى فلاه وسماء الدنيا بالنسبة للسماء الثانية كحلقة فى فلاه والثانية بالنسبة للثالثة كذلك وكل سماء للتى بعدها كحلقة فى فلاة وكل السموات ومافيهن بالنسبة للعرش كحلقة فى فلاة فسبحان مالك الملك مالك يوم الدين .

وسأل رجل الإمام مالك رضى الله عنه عن هذه الآية :ـ

---

١) سورة النحل الآية (٥٠)

٢) سورة طه الآية (٥)

فأطرق رأسه ملياً ثم قال الإستواء مذكور والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعه وما أظنك إلا ضالاً فأمر به فأخرج .

وسأل الزمخشرى الغزالى عن هذه الآية فأجابه بقوله :-

إذا إستحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن ذلك ثم جعل يقول :-

قل لمن يفهم عنى ما أقول
قصر القول فذا شرحٌ يطول
ثم سر غامض من دونه
قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إيالَ ولا
من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفاتٌ ركبت
فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها
هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها
لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا
غلب النوم فقول لى ياجهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه
كيف يجرى منك أم كيف تبول

كيف تدرى من على العرش إستوى
لا تقل كيف إستوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى
فلعمرى ليس ذا إلافضـــــول
فهولا أين ولاكيف له
وهو رب الكيف والكيف يحول

فهو فوق الفوق ولا فوق له
وهو فى كل النواحى لايزول
جلّ ذاتاً وصفاتاً وسما
وتعالى قدره عما تقول

ومما يوهم الجسمية قوله تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ (١) وحديث الصحيحين (ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له).

فالسلف يقولون أنه مجيء ونزول لا نعلمهما والخلف يقولون المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب والمراد بالنزول ينزل ملك ربنا فيقول عن الله الى آخر الحديث ومما يوهم الصورة مارواه أحمد والشيخان :-
(أن رجلاً ضرب عبده فنهاه الرسول ﷺ وقال أن الله تعالى خلق آدم على صورته). فالسلف يقولون صورة لا نعلمها

---

١) سورة الفجر الآية (٢٢)

والخلف يقولون المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة فهو على صفته فى الجملة وإن كانت صفته تعالى قديمة وصفة الإنسان حادثة وهذا بناء على أن الضمير فى صورته عائداً الى الله تعالى كما يقتضيه ما ورد فى بعض الطرق . (فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن) وبعضهم جعل الضمير عائداً على الأخ المصرح به فى الطريقة التى رواها مسلم بلفظ (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) أى وإذا كان كذلك فينبغى إحترامه بإتقاء الوجه .

ومما يوهم الجوارح قوله تعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (١) و ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٢) وحديث (إن قلوب بنى آدم كلها كقلب واحد بين أصبعين من اصابع الرحمن) فالسلف يقولون لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها والخلف يقولون المراد من الوجه الذات ومن اليد القدرة والمراد من قوله بين أصبعين من أصابع الرحمن بين صفتين من صفات الرحمن وهاتان الصفتان هما القدرة والإرادة . قال الأستاذ أبو إسحق الشيخ إبراهيم الإسفراينى رضى الله عنه :-

ماقاله علماء الكلام فى التوحيد كله لا يخرج من جملتين هما :-

(١) إثبات ذات غير مشبة بالذوات ولا معطلة عن الصفات .. أى صفات الجلال والجمال والكمال .

---

١) سورة الرحمن الآية (٢٧)

٢) سورة الفتح الآية (١٠)

(٢) وكل ما خطر بقلب البشر فالله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك وقال رضى الله عنه :ـ

وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً لأنها نافية لإصول الكفر الثمانية هى الكثرة والعدد والقلة والنقص والعلة والمعلول والشبيه والنظر والمثيل فالكثرة والعدد منفيان بقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ والقلة والنقص منفيان بقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ والعلة والمعلول منفيان بقوله تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ والشبيه والنظير والمثيل منفية بقوله تعالى وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ

قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى نفى سورة الإخلاص لاصول الكفر إن قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ أثبتت الوجود للأحد ونفت التعدد وأثبتت الوحدانية لله وحده لا شريك له وقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾(١) نفت الجسمية بإنتفاء الجسمية إنتفت العرضية ومايلازمهما وقوله تعالى :ـ ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ نفت الوالد والولد . وقوله تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ نفت الصاحبة والشريك والشبيه والنظير والمثيل .

---

(١) قد ورد فى الصمد ثلاثة أقوال :ـ

أحدها أنه الذى لا يُطْعَمْ وأستدل عليه بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ وفى ذلك إبطال قول من زعم من النصارى أن عيسى عليه الصلاة والسلام إله . وقال الله تعالى فى عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ فبين ذلك

تنبيه :-

إعلم أخى المؤمن أن مما تقرر فى عقيدة التوحيد خاصة الكم المنفصل عن الأفعال نخلص أن الأفعال كلها العادية منها والخارقة للعادة وعظيمها وصغيرها بالنسبة لجلال الله تعالى وقدرته سواء ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ

أن الذى يأكل ويشرب لا يكون إلاهاً وفى ذلك دلالة على أن كل محتاج الى شىء فهو غير إله والإله هو الغنى عما سواه المفتقر اليه كل ما عداه .

والقول الثانى : .. إن الصمد هو الذى لا جوف له ، وفى هذا إبطال قول المشبهة من اليهود والهشامية الذين زعموا أن معبودهم صورة مجوفة ، وقالوا نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمد ، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه صمد ليس له جوف ولا صورة ولا تركيب تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والقول الثالث : ما ذهب اليه أهل اللغة بلا إختلاف أن الصمد هوالسيد الذى إنتهى اليه السؤدد والصمود إليه فى النوائب والله أعلم .

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾(١) .

فالعرش وهو أكبر مخلوقات الله سبحانه وتعالى والجوهر الفرد فى أدنى كائن حى كالنملة ومادونها مما يعلم الله سبحانه وتعالى والحركة والسكون وكل ما يدور فى هذا الكون المحكم هو بقدرة الله تعالى وهو على كل شىء قدير فيجب على كل عاقل أن يتدبر قدرة الله تعالى فى الأشياء بلا علاج

وصنعه للأشياء بلا مزاج إذ كل شىء فى هذا الوجود الحادث هو صنع الله الذى أتقن كل شىء فالإمور العادية والخارقة للعادة كلها فعل الله ونسبتها الى العباد مجازاً بمعنى كسباً وإكتساباً أى مقارنة ظاهرية فقط ولله در العارف بالله صاحب الحكم الشيخ إبن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه حيث قال :ـ

(إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر فضله عليك خلق فعله ونسبه اليك).

هذا شروع فى بيان أقسام الأمر الخارق للعادة

الأمر الخارق للعادة أقسامه ستة وهى :ـ

إرهاص ـ ومعجزة ـ وكرامة ـ ومعونة ـ وإستدراج ـ وإهانة

وقد نظمها بعضهم بقوله :ـ

إذا مارأيت الأمر يخرق عادة
فمعجزة إن من نبى لنا صدر

١) سورة يس الآية رقم (٨٢) ، (٨٣)

وإن بان منه قبل وصف نبوة
سمه الإرهاص تتبع القوم فى الأثر
وإن جاء يوماً من ولى فإنه الكرامة
فى التحقيق عند ذوى النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره
فكنوه حقاً بالمعونة وإشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده
يسمى بالإستدراج فيما قد إستقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم وقد
تمت الأقسام عند الذى إختبر

الإرهاص : -

فالإرهاص مأخوذ من رهص الجدار إذا أسسه فهو يكون للأنبياء والمرسلين قبل النبوة إرهاصاً لنبوتهم وتأسيساً لها ومن إرهاصاته ﷺ إنطفاء نار فارس التى كانت موقودة ألف عام لم تخمد لحظة واحدة وقد خمدت لمولده ﷺ إعلاماً لنبوته وإنطفاء دعوة البطلان ومما وصل الى مداركنا أنه لما بدأ ، التنقيب عن البترول فى إيران وجدت شركة التنقيب أثار الحريق والنيران فى عرق البترول فتعجبوا لهذه الظاهرة العجيبة وهى نار فى عرق خزان بترول تطفأ ... ولما رجعوا إلى التاريخ علموا أن هذه النار كانت موقودة ألف عام أوقدها المجوس وعبدوها مشاكلة لآله

الخير المعبر عنه بالنور ونصرة له على إله الشر المعبر عنه بالظلمة كما تقدم ، ولم تخمد هذه النار الا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ... فتوصلوا إلى أن هذه النار قد إستنزفت كثيراً من مخزون البترول وإنها لو إستمرت ألف عام أخرى لإستنزفت كثيراً منه وعليه فإن إنطفاها هو أمر خارق للعادة إرهاصاً لنبوته ﷺ ورحمة للعباد جل من قال : -

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (1).

ومن إرهاصاته والتى لاتدخل تحت حصر غيض بحيرة ساوة وإرتجاج إيوان كسرى طرباً بقدوم أفضل خلق الله تعالى وأكرم من يمشى على الأرض بالقدم ﷺ ولله در الشيخ شرف الدين البوبصيرى رضى الله عنه حيث يقول : -

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم

والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه والنهر ساهى العين من سدم

وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى

كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزناً وبالماء مابالنار من ضرم

---

1) سورة الأنبياء آية (١٠٧)

المعجـزة :ـ

وهى الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الأنبياء والمرسلين تصديقاً لهم فى دعوى النبوة أو الرسالة وفيما يبلغونه عن الله سبحانه وتعالى، لأنها نازلة منزلة قوله تعالى صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى وال فى المعجزة للجنس فالواحدة تكفى دليلا على صدق النبى أو الرسول وتأييده، قال الشيخ إبراهيم البيجورى فى حاشيته على جوهرة التوحيد للشيخ اللقانى :ـ

(بالمعجزات أيدوا تكرماً)

المعجزة فى لغة العرب هى مأخوذة من العجز لأنه يعجز المنكرين عن الأتيان بمثلها، وفى الإصطلاح هى أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة أو النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يعجز المنكرين على الأتيان بمثله وقد إعتبر المحققون فيها سبعة شروط وهى :ـ

١) أن تكون قولا أو فعلا أو تركاً فالأول كالقرآن المجيد والثانى كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وخرجت بذلك الصفة القديمة إذا قال آية صدقى كون الاله متصفاً بصفة الإختراع .

٢) أن تكون خارقة للعادة وهى ماعتاده الناس وإستمروا عليه مرة بعد أخرى وخرج بذلك الأمر المقارن للعادة كما إذا قال آية صدقى طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب .

٣) أن تكون على يد مدعى النبوة أو الرسالة وخرج بذلك أربعة أقسام من أقسام الأمر الخارق للعادة وهى :-

الكرامة - والمعونة - والإستدراج - والإهانة .

٤) وأن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير خرج بذلك الإرهاص وهو ما كان قبل النبوة كما تقدم كاظلال الغمام له ﷺ قبل البعثة .

٥) وأن تكون موافقة لدعواه وخرج بذلك المخالف لها كما إذا قال آية صدقى إنفلاق البحر فإنفلق الجبل .

٦) وأن لا تكون مكذبة له وخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له كما إذا قال آية صدقى نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب بخلاف مالو قال آية صدقى نطق هذا الإنسان الميت وإحياؤه فأحى ونطق بأنه مفتر كذاب والفرق بينهما أن الجماد لا إختيار له فإعتبر تكذيبه لأنه أمر إلهى والإنسان له إختيار ظاهرى فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما إختار الكفر على الايمان .

٧) وأن تتعزز معارضته وخرج بذلك السحر ومنه الشعبذة وهى خفة فى اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة وزاد بعضهم شرط ثامن وهو أن لا تكون فى زمن نقض العادة كطلوع الشمس من مغربها وخرج بذلك مايقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر وللأرض أن تنبت فتنبت ويدخل كل مايقع من الدجال من الامور الخارقة للعادة فى قسم الإستدراج كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ومعجزاته ﷺ كثيرة وواضحة وتعى الحاصرين وأشرفها وأعظمها القرآن المجيد فهو المعجزة الخالدة

المستمرة إلى يوم الدين ولله در الشيخ البوصيرى رحمة الله حيث قال مادحاً :ـ

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأعظم قيلاً

لاتذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفىء القنديلا

قال الشيخ إبراهيم اللقانى رضى الله فى جوهرة التوحيد :ـ

ومعجزاته كثيرة غرر

منها كلام الله معجز البشر

قال الشيخ البيجورى رضى الله عنه فى شرح هذا البيت :ـ

لما ذكر فيما تقدم تأييد الله تعالى للأنبياء بالمعجزات الباهرة نبه هنا على كثرتها ووضوحها لنبينا ﷺ دون غيره فالغرض الآن التنبيه على كثرة معجزاته ووضوحها لكن المراد من معجزاته ﷺ الإمور الخارقة للعادة الظاهرة على يده ﷺ سواء كانت مقرونة بالتحدى أم لا فهو من إستعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه أو من عموم المجاز وإنما وصفها بالكثرة المطلقة إيماءاً للعجز عن الاحاطة بها والغرر جمع غرة وهى فى الأصل بياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم وتطلق على خيار الشىء ثم إستعملت فى كل واضح معروف على وجه الحقيقة العرفية وهو المراد هنا فغرر بمعنى واضحات مشهورات وقال :ـ

إعلم أن ماكان منها معلوماً بالقطع منقولا بالتواتر كالقرآن الكريم فلا شك فى كفر منكره ومالم يكن منها كذلك فإن إشتهر كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ فسق منكره وإن لم يشتهر وثبت بطريق صحيح أو حسن عزر منكره (وقوله منها

كلام الله) فإن كلام الله يطلق على الصفة القديمة وعلى الفظ المنزل على النبى المرسل ﷺ المتعبد بتلاوة المتحدى بأقصر سورة منه كما يطلق عليها القرآن لكن قد غلب كلام الله فى صفة ذاته القديمة والقرآن فى اللفظ المنزل على النبى المرسل وقد نص عليه بخصوصه لأنه أفضل معجزاته ﷺ وأدومها لبقائه إلى يوم القيامة ولايخرج عنه شيء من معجزاته غالباً وإلا فبعضها لم يذكر فيه بطريق الصراحة وإن كان داخلا فى عموم قوله تعالى :-

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١).

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) وذلك كانشقاق القمر للرسول سيد البشر ﷺ فعن إبن مسعود رضى الله عنه أنه قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ إنشق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله ﷺ أشهدوا وقال كفار قريش هذا سحر فأبعثوا الى أهل الأفاق حتى تنظروا أرؤا مثل هذا أم لا فأخبر أهل الآفاق بأنهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فقد إنشق نصفين وهو فى السماء وإن كان قد يسبق إلى الوهم أنه نزل منها إلى الجبل جل من قال :- ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (٣)

---

١) سورة البقرةالآية رقم (٢٠)

٢) سورة الأنعام الآية رقم (٣٨)

٣) القمر الآية رقم (١ ، ٢)

وكتسليم الحجر والشجر عليه ﷺ
فعن على رضى الله عنه أنه قال كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها فما إستقبله حجر ولا شجر إلا وهو يقول :-

السلام عليك يارسول الله .. وكتسبيح الحصى فى كفه ﷺ فقد روى ثابت أن أنس بن مالك قال كنا جلوساً عند رسول ﷺ فأخذ كفاً من حصى فسبحن فى يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم يد عمر فسبحن ثم يد عثمان فسبحن ثم صبهن فى أيدينا فما سبحن .

وكحنين الجزع الذى هو ساق النخلة وحديثه مشهور متواتر وهو أنه كان ﷺ قبل أن يصنع له المنبر يخطب عنده فلما صنع له المنبر إنتقل إليه فسمع له كل من كان فى المسجد حنيناً وصوتاً عظيماً حتى كاد أن ينشق أسفاً على فراقه ﷺ فضمه إليه فصار يئن أنين الصبى الذى تضمه أمه إليها وتسكته عن بكائه ثم قال ﷺ :- إن شئت أردك الى الحائط أى البستان الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل لك خلقك ويتجدد لك خوص وثمر وإن شئت أغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى ﷺ إليه ليسمع مايقول فقال بصوت يسمعه من يليه بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لابلاء فيه فقال قد فعلت ثم قال إختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن تحت المنبر ، وكان الحسن رضى الله عنه إذا حدث بهذا الحديث

بكى وقال ياعباد الله الخشبة تحن الى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.وكرد عين قتادة بن النعمان حين سالت على خده وذلك أنه كان يتقى بوجهه السهام عن رسول الله ﷺ فى غزوة أحد فأصاب عينه سهم فسالت على خده فأخذها بيده وسعى بها إلى رسول الله ﷺ فلما رآها ﷺ فى كفه دمعت عيناه وقال إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شئياً فقال يارسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسال الله لى الجنة فردها فى موضعها وقال الهم قِ قتادة كما وقى وجه نبيك فأجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً وكان كذلك وكانت لاترمد إذا رمدت الأخرى.وكشهادة الضب بنبوته روى أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه فجاء إعرابى وقد صاد ضباً فقال من هذا قيل نبى الله فقال واللات والعزة لا آمنت به حتى يؤمن هذا الضب وطرحه بين يديه ﷺ فقال ياضب فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الإعرابى. وقوله (معجز البشر) أى مصيّرهم عاجزين عن معارضته والأتيان بمثله بل كل المخلوقات كذلك إجماعاً ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ

وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١) أى معيناً

وخص الإنس والجن مع أن سائر المخلوقات كذلك لأنهما الذان تتصور منهما المعارضة بخلاف غيرهما كالملائكة لعصمتهم وإقتصار الناظم على البشر لأنهم الذين تصدوا لذلك بالفعل والبشر هم بنو آدم سموا بذلك لبدو بشرتهم التى هى ظاهر الجلد ، ولا خلاف فى أن القرآن بجملته معجزاً وإنما الخلاف فى أقل مايقع به الإعجاز من أبعاضه وإختار جمهور أهل التحقيق أن أقله أقصر سورة منه أو ثلاثة آيات وقال القاضى عياض إن أقله سورة - إنا أعطيناك الكوثر - أو آية أو آيات فى قدرها وظاهر الأول أن الآية والآيتين ليس معجزاً وإن عادلتا الثلاثة أو السورة فى الطول كآية الكرسى والدين والظاهر خلافه فالمعتمد أن الآية الطويلة معجزة كالثلاثة وإختلف فى جه الإعجاز فقيل كون الله صرفهم عن الأتيان بمثله مع كونهم قادرين على ذلك وهذا القول يسمى قول الصرفه والذى ذهب إليه الجمهور أن وجه إعجازه إخباره بالمغيبات ودقائق العلوم وأحوال المبدأ والمعاد وغير ذلك مما لايحصى وهذا هو الصحيح فى وجه الإعجاز .

ولله در الشيخ شرف الدين أبى عبدالله البوصيرى رضى الله عنه وعنا به فى مدحه للقرآن الكريم الحكيم بقوله :-

دعنى ووصفى آيات له ظهرت
ظهور نار القرى ليلا على علم
فالدر يزداد حسناً وهو منتظم
وليس ينقص قدراً غير منتظم

١) سورة الإسراء الآية رقم (٨٨)

فما تطاول آمال المديح الى
مافيه من كرم الأخلاق و الشيم
آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين اذ جاءت ولم تدم
محكمات فما تبقين من شبه
لذى شقاق وما تبقين من حكم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب
أعدى الأعادى إليها ملقى السلم
ردت بلاغتها دعوى معارضيها
رد الغيور يد الجانى عن الحرم
لها معانى كموج البحر فى مدد
وفوق جوهره فى الحسن و القيم
فما تعد ولاتحصى عجائبها
ولاتسأم على الأكثار بالسأم
قرت بها عين قاريها فقلت له
لقد ظفرت بحل الله فاعتصم
أن تتلها خيفة من نار لظى
أطفأت حر لظى من وردها الشيم

كأنها الحوض تبيض الوجوه به
من العصاة وقد جاؤه كالحمم
وكالصراط وكالميزان معدلة
فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم
لاتعجبن لحسود راح ينكرها
تجاهلاً وهو عين الحاذق الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

الكرامة :ـ

وهى الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله سبحانه وتعالى على يد عبد ظاهر الصلاح والبركة متمسكاً بالدين ، فالكرامات التى أجراها الله سبحانه وتعالى على أيدى الصالحين من هذه الأمة لاحصر لها وكلها ثابته بالمشهادة والنقل المتواتر وماشوهد بالعين فلا إنكار فيه ومن أراد الإطلاع على نذر منها فلينظر إلى كتب التصوف ككتاب جامع كرامات الأولياء للشيخ يوسف النبهانى رضى الله عنه وكتاب الطبقات للشيخ الشعرانى وكتاب الغنية لسيدى الشيخ عبدالقادر الجيلانى رضى عنه وغيرهم من كتب هؤلاء السادات الأعلام .. ومن الكرامات التى أجراها الله سبحانه وتعالى على الأمم السابقة لهذه الأمة المرضيه ماوقع لسيدنا آصف إبن برخيا مع سيدنا سليمان فيما يحكيه الله سبحانه وتعالى لنا فى كتابه العزيز :ـ

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ
﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ
فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن
شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (١)

فالمكرم بهذه الكرامة الجليلة هو آصف إبن برخيا وهو عبد صالح من أمة سيدنا سليمان أجرى الله سبحانه وتعالى على يديه هذه الكرامة العظيمة إكراماً له فالمكرم هو الله سبحانه وتعالى الفعال لما يريد الذى يختص برحمته من يشاء ولايسأل عما يفعل وهم يسالون .

وكذلك ماقصه الله سبحانه وتعالى علينا من قصة السيدة مريم العذراء الصديقية رضى الله تعالى عنها فى كتابه العزيز بقوله تعالى :-

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢)

فكان سيدنا زكريا عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف فهو كما قال تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ

---

١) سورة النمل الآية رقم (٣٨ ، ٤٠)
٢) سورة آل عمران الآية (٣٧)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

إكراماً للسيدة مريم رضى الله عنها .

كذلك ما قصه الله سبحانه وتعالى من قصة السيدة مريم العذراء رضى الله عنها بقوله :-

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ (٢)

صدق الله العظيم.

وذلك لأنها كانت فى غاية الجهد النفسى والجسمى لما أصابها من حملها فى لحظتها بسيدنا عيسى إبن مريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - فألهمها الله سبحانه وتعالى أن تستند إلى هذا الجزع البالى وبمجرد أن وضعت يديها على الجزع وهزته أى فعلت به فعل من يريد أن يهزه وفى تلك اللحظة إخضر الجزع ونما وإكتمل خلقه وأثمر وأسقط عليها الرطب الجنى فى لحظته ليثبت الله براءتها وترى فعل الله العلى القدير .

وبهذه الكرامة الجليلة والتى لها وجه شبه كبير فيما أكرمها الله به من حملها فى لحظتها بسيدنا المسيح عيسى إبن مريم عليه الصلاة والسلام واصطفائها لتكون أما لعبد الله ورسوله النبى الكريم سيدنا عيسى إبن مريم مسيح الرحمة الذى كان يخلق لبنى إسرائيل من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ويبرىء الأكمة والأبرص ويحى الموتى بإذن الله والذى شاء الله أن يجعله

---

١) آل عمران الآية (٣٧)

٢) سورة مريم الآية رقم (٢٥)

عنصراً فرداً لخلق الإنسان من العدم الى الوجود فكملت به العناصر أربعاً فخلق أبينا آدم عليه السلام بلا أم ولا أب - وخلق أمنا حواء من أب بلا أم - وخلق بقية الناس من أم وأب ، فتعالى الله الفعال لمايريد الذى شاءت حكمته أزلا أن يربط الأسباب بالمسببات وجل من قال :-

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)

فتعالى الله الذى قاد بحبائل الشهوات وسلاسل النذوات كل أبوين مقهورين بما أبرمه فى سابق أزله بعلمه وإرادته منجزاً له فيما لايزال بقدرته حال كونهما طائعين فرحين بما جعله الله بينهما من المودة والرحمة ليقضى أمراً كان مفعولاً

وليبرزك أيها المكلف من العدم الى الوجود فالحمد لله على نعمتى الإيجاد والأمداد .. فبهذه الكرامة الجليلة والتى أبرزها الله سبحانه وتعالى على يديها فقرت عيناً وأكلت وشربت وصارت أسعد حالاً بطفلها العظيم فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم ، لقد جئت شيئاً فرياً ، وكانت خوطبت من قبل فإما ترين من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً - أى صمتاً عن الكلام - فلن أكلم اليوم أنسياً

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ

---

١) سورة النساء الآية رقم (١)

وَٱلزَّكَوٰةِ مَادُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى
ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (١)

تنبيه :-

إعلم يا أخي المؤمن وفقني الله وإياك الى الصواب والسداد أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم بمحض فضله بعض عباده واصطفاهم بعلمه وإرادته في سابق الأزل وأنجز ذلك وقدره فيما لايزال بقدرته وهو الفعال لما يريد الذى لايسأل عما يفعل وهم يسألون فهو الذى خص من بين خلقه أل وده برضاه وعمهم من خزائن منحه بفضله ونداه ، جل من قال

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٢)

فقد أنعم الله سبحانه وتعالى على النبيين والمرسلين بالنبوة والرسالة ومايترتب عليهما من أسرار وعلوم وفيوضات لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى وكل هذا الإنعام والتكريم هو بمحض فضل الله سبحانه وتعالى من غير إستحقاق لأحد عليه تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

---

١) سورة مريم الآية (٢٤ ـ ٣٤)

٢) سورة النساء الآية رقم (٦٩)

ٱلْعَظِيمِ ﴾ (١) قال الشيخ إبراهيم اللقانى رحمه الله :ـ

ولم تكن نبوة مكتسبة
ولو رقى فى الخير أعلى عقبة
بل ذاك فضل الله يوتيه لمن
يشاء جل الله واهب المنن

وكذلك أنعم الله سبحانه وتعالى على الصديقين والشهداء والصالحين ولم يكن لأحد منهم إستحقاق عليه سبحانه وتعالى بل ذاك فضل يؤتيه من يشاء يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

من هنا تعلم يرحمنا ويرحمك الله أن الله سبحانه وتعالى قد بين لنا أن (من يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (وقال جل وعلا ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾

فيالها من رفقة شهد الله سبحانه وتعالى بحسنها فبئس من شوه هذا المشهد الرائع الجليل لأجل علة أو هوى أو غرض من الدنيا قليل أو لجهل مركب خالى من المضمون والدليل مصحوباً بالتعالى والتكبر والزيغ الفكرى الدخيل جل من قال :ـ

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢)

---

١) سورة الجمعة (٤)

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (٧)

فيا عبد الله إعلم أن من أخطر الدوائر حرمة عند الله تعالى وعند عباد الله هى دائرة المكرمين فكل من تعرض لهذه الدائرة بسوء فهو من الهالكين الخاسرين فاتعظ أيها المؤمن بطرد إبليس اللعين الذى تكبر على مكرم من المكرمين وأبى أن يكون مع الساجدين فطرد من رحمة رب العالمين وأتبع لعنة الى يوم الدين .. قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الإسراء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (١)

وقال جل وعلا فى سورة الأعراف :ـ

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

---

١) الأسراء (٦١) إلى (٦٥).

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا
مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١)

وقال جلّ وعلا في سورة الحجر :-

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ
مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ
ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ
مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ
ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ
هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ
بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (٢)

---

١) سورة الأعراف (١١) الى (١٨)

٢) سورة الحجر الآية (٢٦) الى (٤٤)

وكذلك قال الله سبحانه وتعالى فى سورة ص

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (١) . وقال

جل وعلا فى سورة البقرة :ـ

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢)

من هنا تعلم ايها المسلم إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم أبانا آدم عليه الصلاة والسلام وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته الكرام فهذا السجود هو سجود إجلال وإحترام لمن أكرم الله من عباده الكرام والسجود هنا سجود لأبينا آدم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وهو تذلل وخضوع إشعاراً بقدر المكرم الذى أكرمه الله سبحانه وتعالى وإظهاراً للإجلال والإحترام وليس هذا السجود هو

---

١) سورة ص الآية رقم (٧١) الى (٨٥)

٢) سورة البقرة اية (٣٤)

عبادة لأبينا آدم لأن العبادة هى التذلل والخضوع لمن يعتقد فيه صفة من صفات الإلهية وأن الملائكة الكرام لايعتقدون فى أبينا آدم صفة من صفات الإلوهية فهم معصومون مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون.

ومن هنا تعلم أيها المؤمن أن إبليس قد طرد بمجرد أنه تكبر وتعالى على مكرمٍ من المكرمين وأبى أن يخضع له ساجداً فيكون مع الساجدين .

وإنك تعلم أن هناك آلافاً من المكلفين بل ملايين يؤمر كل واحد منهم أن يسجد لله تعالى أربعة وثلاثين سجدة فى كل يوم وليلة ، وذلك بوجوب الصلوات الخمسة الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح وقد فرضها الله على كل مكلف فرض عين ومع ذلك لم يسجدوا وتمر الأيام والليالى والشهور والدهور وهم على حالهم لايسجدون ورغم ذلك لم يُطردوا من رحمة الله كما طرد إبليس اللعين وأمثاله من المنكرين المجرمين بل أمهلوا حتى الخاتمة،ومن تاب منهم يجد باب التوبة مفتوحاً على مصراعيه ويبدل الله سبحانه وتعالى سيئاته حسنات وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على خطر دائرة المكرمين على دائرة الايمان وما ذلك إلا لأن المكرمين من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وممن أطاع الله والرسول هم خلق من خلق الله سبحانه وتعالى يصل إليهم الأذى والضرر الحسى والمعنوى ولكن الله سبحانه وتعالى لايصله ضرر فهو الغنى الحميد الذى لاتنفعه الطاعة ولاتضره المعصية جل وعلا من قال :-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ (١)

وجل وعلا من خص من بين خلقه آل وده برضاه وعصم بحبله من أسعده أزلا وإرتضاه تصديقاً لقوله تعالى :-

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢)

) صدق الله العظيم .

فيا أيها الذين آمنوا إياكم وإياكم ودائرة المكرمين وإياكم وإياكم ومحاربة رب العالمين وتدبروا قول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى رضى الله عنه فى باب التواضع (عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ أن الله عز وجل قال :(من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرب الى عبد بشىء أحب الى مما إفترضت عليه ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن إستعاذنى لأعيذنه ، وماترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) . ولقد حزر رسول الله ﷺ عن الذين يتبعون ماتشابه منه (أى القرآن الكريم) إبتغاء الفتنة

---

١) سورة فاطر الاية رقم (١٥) الى (١٧)

٢) سورة آل عمران الآية رقم (١٠٣)

وإبتغاء تأويله تلبيساً على عباد الله وإثاره للشقاق والفتنة والفرقة والبغضاء بين صفوف مجتمع المسلمين بقوله فيما يرويه الشيخان البخارى ومسلم عن أم المؤمنين السيدة عائشة الصديقيه رضى الله عنها وعن أبويها قالت قال رسول الله ﷺ :-

(إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه (أى القرآن) فأولئك الذين سمَّ الله فأحذروهم).

وعلى العاقل ذى اللب السليم أن يسعى فى إنقاذ مهجته من الخلود فى النار وذلك بمعرفة عقائد الإيمان والإعتقاد السليم الجازم من الموارد الصافية والمناهل المتعاقبة لأن هذا الدين هو شرع موضوع منقول سواء كان معتقدات أو عبادات أو معاملات وليس أهواءً وأغراضاً تحسنها العقول جل من قال ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(١)

ولله در العارف بالله الشيخ عبد الله بن المبارك فى قوله :-

ما بال دينك ترضى أن تدنسه
وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
إن السفينة لاتجرى على اليبس

---

١) سورة آل عمران الآية رقم (١٨٥)

المعونة :-

وهى الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله سبحانه وتعالى على يد عبدٍ عامى تخليصاً له من شدة أو كرب مثال ذلك فيما إذا قتل أناس شخصاً وألبسوا تهمة قتله شخصاً برئياً وشاء الله أن يخلصه من هذا الكرب فألهمه أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويسأل الله أن يجعل له مخرجاً فعندها يخرق الله سبحانه وتعالى العادة ويحى هذا الميت فينطق بأن قاتله فلان وفلان وهكذا مثلا كما وقع لبنى إسرائيل فى قصة البقرة فى قوله تعالى :-

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾

إلى قوله تعالى و﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١) كما هو معلوم فى كتب التفاسير .

الإستدراج :-

هو الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله سبحانه وتعالى على يد فاسق أو كافر خديعة ومكراً به كما سيكون للدجال من الإستدراجات العظيمة كأحياء الموتى وأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت وهكذا من الخوارق للعادة إستدراجاً جل من قال :-

---

١) سورة البقرة من الآية ٦٧-٧٣

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) صدق الله العظيم .

الإهانة :-

وهى الأمر الخارق للعادة الذى يظهره الله سبحانه وتعالى على يد مدعى النبوة أو الرسالة عكس مراده تكذيباً له فى دعوته وهى نازلة منزلة قوله تعالى قد كذب هذا العبد فيما يدعيه من النبوة أو الرسالة وفى كل مايبلغه عنى ذلك أن مصدق الكاذب كاذب والكذب عليه تعالى مستحيل فلا يقع من مدعى الرسالة أو النبوة مايوهم صدقه من الخوارق للعادة وإنما تأتى الخوارق على عكس مراده كما وقع لمسيلمة الكذاب عندما قيل له أن الرسول محمد ﷺ قد تفل فى عين قتادة بن النعمان فردت نجلاء جميله بعد أن سالت على خده وأصبحت لا ترمد ، فأتفل لنا فى عين هذا الرجل لتعود سليمة جميلة وكان الرجل أعوراً فتفل فيها فعميت الصحيحة إهانة له - فإن تفله تعمى عيناً هذا هو أمر بخلاف العادة وهو غاية فى الإهانة والتكذيب ، نعوذ بالله من الأخذ والجور والإستدراج والإهانة ونسأله المعونة والكرامة انه نعم المولى ونعم النصير .

---

١) سورة القلم الآية رقم (٤٤)

تنبيه :-

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب أن الله سبحانه وتعالى ربط الأسباب بالمسببات و النتائج بالمقدمات فكل شيء بإذن الله ماشاء كان ومالم يشاء لم يكن جل من قال :-

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (١)

العظيم وجل وعلا من قال :-

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

صدق الله العظيم .

---

١) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٠)

(٢) سورة آل عمران (٤٥) الى (٤٩)

فلو لا أذن الله سبحانه وتعالى ما أخذ سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأذكى التسليم أربعة من الطير وصرهن إليه ثم جعل على كل جبل منهن جزءً ثم دعاهن فإتينه سعياً . ولولا اذن الله سبحانه وتعالى مابشرت مريم الصديقية رضى الله عنها بالمسيح عيسى ابن مريم الذى جعله الله وجيهاً فى الدينا والاخرة ومن المقربين ولولا أذن الله سبحانه وتعالى لما كلم الناس فى المهد ولولا اذن الله سبحانه وتعالى لما خلق سيدنا عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لبنى إسرائيل من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً ولما أبرى الأكمه والأبرص ولولا اذن الله سبحانه وتعالى لما أحيا الموتى ولما أنبأ بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم ولولا إذن الله سبحانه وتعالى للأشجار لما جادت بالثمار ولولا إذن الله سبحانه وتعالى للمياه لما جرت ينابيع وتفجرت أنهار ولولا إذن الله سبحانه وتعالى للأرحام لما كان للأجنة وجوداً ولا إستقراراً ولولا إذن الله سبحانه وتعالى للقلوب بالنبض لما كانت حياة ولا إنتشار ولولا إذن الله سبحانه وتعالى للنار فى الإحراق لما إنتفع بها فى طبخ ولا أوطار وعلى هذا النحو أنحو فهذه سنة الله سبحانه وتعالى فى الكون فإذا تدبرت وتفطنت ستجنى أشهى الثمار بإذن الله الواحد الفاعل المختار

جل من قال :ـ

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

تنبيه :ـ

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب والسداد أن الوحدانية صفة لواحد والآحاد خمسة وهى :ـ

١) أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يتعدد ولا يحتاج الى محل ولا يحتاج الى مخصص وهى ذات مولانا سبحانه وتعالى ، فربنا سبحانه وتعالى واحد فى ذاته جل وعلا .

٢) وأحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يتعدد ولايحتاج إلى مخصص وقائم بالذات العلية وهى صفات مولانا سبحانه وتعالى فالممنوع من التعدد فى الصفات هو تعدد الصفات للذات العلية من نوع واحد كقدرتين أو إرادتين أو علمين فأكثر ولكن تعدد الصفات للذات العلية كالقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فثابت لله تعالى كما تقدم .

٣) وأحد يتحيز و ينقسم و يتعدد ولايحتاج الى محل ويحتاج الىالمخصص وهى أجرام الحوادث وتسمى بالذوات .

٤) وأحد يتحيز ولا ينقسم ويتعدد ولا يحتاج الى محل ويحتاج الى المخصص وهو الجوهر الفرد الذى وصل حد

---

١) سورة الروم الآية رقم (٣٠)

القسمة طولاً وعرضاً وعمقاً وهو وحدة تكوين الأجسام والأجرام.

٥) وأحد لا يتحيز ولا ينفسم ويتعدد ويحتاج الى المحل ويحتاج الى المخصص وهى أعراض الحوادث وتسمى بالصفات .

أنواع الوحدة

تنبيه : إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب والسداد أن أنواع الوحدة أربعة وهى :-

وحدة الذات• ووحدة النوع - ووحدة الجنس - ووحدة الشخص .

١) فوحدة الذات : وهى وحدة البارى سبحانه وتعالى ويستحيل فى حقه معانى الوحدة غير وحدة الذات كوحدة الجنس ووحدة النوع ووحدة الشخص إذ لا جنس له فيتحد مع غيره فيه وكذلك لا نوع له فيتحد مع غيره فيه - مثال الأول كاتحاد الانسان والفرس فى جنس الحيوان ومثال الثانى كاتحاد زيد وعمرو فى نوع الانسان فيقال الانسان والفرس واحد بالجنس أى متحدان فيه . ويقال ، زيد وعمرو واحد بالنوع أى متحدان فيه - ومثال الثالث زيد فانه واحد بالشخص بمعنى أن مشخصاته قاصرة عليه لا توجد فى غيره .

٢) وحدة النوع كنوع الانسان .

٣) وحدة الجنس كجنس الحيوان .

٤) وحدة الشخص وهى كقولك هذا واحد فى مشخصاته وهى أوصافه الخاصة به ولا يشاركه فيها غيره وهذه ثابتة لكل

شخص دون الآخر فمن قبيل ذلك اختلاف البصمات لكل شخص عن الآخر دليلاً على وحدانية الصانع القدير .

أقسام الموحدين

إعلم وفقنى الله وإياك الى الصواب والسداد أن الموحدين ينقسمون على أربعة أقسام : -

١- القسم الأول من اختصر على علم ظاهر لا إله إلا الله محمد رسول الله وهؤلاء يسمون المقلدين ويسمون المؤمنين ويسمون السائرين وهؤلاء الذين يقول فيهم الشيخ/محى الدين بن العربى رحمه الله تعالى : -

(إياكم ومعادات أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله لأن لهم من الله الولاية العامة وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا ولم يشركوا به شيئاً قابلهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته) .

٢- وقسم ترقى الى ما يمكن معرفته بالبراهين الفكرية وهؤلاء يسمون العارفين ويسمون المحجوبين ويسمون السائرين .

٣- وقسم فتح لهم بإمور وجدانية - لا تسعها العبارة وإنما يرمز لها بالاشارة واللبيب بالاشارة يفهم فهؤلاء منهم من رأى الكل منه وإليه فرضى وإستسلم .

٤- ومنهم من غاب عن الغير لا يشاهدون إلا الله سبحانه وتعالى فهم فى غيبة عن ما سوى الله فى حضور مع الله سبحانه وتعالى وهؤلاء هم أهل جنة الشهود فى الدنيا نفعنا الله بعلومهم وأسرارهم إنه نعم المولى ونعم النصير .

هذا شروع فى بيان دليل الوحدانية

الدليل فى لغة العرب هو المرشد والكاشف وفى الاصطلاح هو قول مؤلف من مقدمتين يقينيتين لانتاج يقين . والمقدمات اليقينية هى الأولويات والمشاهدات والمحسوسات والمتواترات والتجريبات وسمى برهاناً وهو مشتق من البره بسكون الراء وهو القطع تقول برهت العود اذا قطعته ولا شك أن البرهان يقطع ظهر المخاصم وقيل هو مشتق من البره بفتح الموحدة والراء وهو البياض ولا شك أن البرهان يجعل العقيدة ناصعة بيضاء جل من قال :-

﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

ويسمى حجة جل من قال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

فالدليل ينقسم الى قسمين : إما عقلى وإما نقلى ، فالثانى كالكتاب والسنة والاجماع .. وأما العقلى فهو عند المناطقة قول مؤلف من مقدمتين يستلزمان لذاتهما قولاً آخر سواء كانت المقدمتان يقينيتين أو ظنيتين أو أحدهما يقينيه والأخرى ظنيه ، فالدليل المنطقى أعم من البرهان .. وأما عند الاصوليين فالدليل هو ما احتوى على الموصل للمطلوب لانفس الموصل فالعالم مثلاً دليل على وجود الله سبحانه

(١) سورة البقرة آية (١١١)

(٢) سرة الانعام آية (٨٣)

وتعالى وقدمه وبقاءه ومخالفته تعالى للحوادث ووحدانيته تعالى الى آخر الصفات لاحتوائه على جهات منها ما لا يوصل للمقصود ومنها ما يوصل فالأول كطوله وكثافته وبساطته وتركبه وبياضه وسواده وعلويه وسفليه الى آخر ما اشتمل عليه من ابداع ، والثانى كحدوثه ، فالعالم دليل من حيث احتواؤه على الموصل الذى هو الحدوث وهو الوجود بعد العدم وكذلك النار دليل على الاحراق لأنها إحتوت على الجرميه والشفافية والضوء وليس جهة من هذه الجهات موصلة للاحراق وإنما الجهة الموصلة له هى الحرارة إذ بها يعلم الاحراق ، فالدليل العقلى مركب عند المناطقة ، ومفرد عند الاصوليين .

تنبيه :

قال الاستاذ الشيخ محمد بن احمد بن عرفة الدسوقى رضى الله عنه : إعلم أن العقائد الايمانية بالنسبة للاستدلال عليها تنقسم على أربعة أقسام وهى :-

١) قسم لا يصلح فيه إلا الدليل العقلى وهو ما يتوقف عليه وجود الفعل الممكن الذى من جملته المعجزة وهذا الضابط يتناول الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والقدرة والارادة والعلم والحياة وكونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً . فوجود الفعل الممكن متوقف على هذه الصفات إذ لا يتأتى إلا ممن كان متصفاً بها ولا يصلح الاستدلال عليها إلا بالدليل العقلى إذ لو إستدل عليها بالدليل

السمعى للزم الدور وبيانه أن السمع متوقف على المعجزة وهى متوقفة على هذه الصفات فيكون السمع متوقفاً عليها ولو ثبتت هذه الصفات بالسمع لتوقفت عليه فصار كل منهما متوقفاً على الآخر وهذا دور والدور مستحيل .

٢) وقسم لا يصلح فيه إلا الدليل النقلى وهو ما كان راجعاً الى وقوع جائز فى المستقبل كأحوال القيامة من بعث ونشر وحشر وحساب وعقاب وصراط وميزان وجنة ونيران وكل ما أخبر به البشير النذير عن الله تعالى من الأمور الغيبية التى يجب الايمان بها ، فهذه العقائد لا يصلح فيها إلا الدليل السمعى إذ غاية ما يصل اليه العقل هو الجواز لا الوقوع .

٣) وقسم يصلح فيه الدليل العقلى والنقلى والاصل فيه الدليل النقلى ويأتى الدليل العقلى متمماً على وجه التقوية وهو مالا يتوقف عليه وجود الفعل الممكن ولا راجعاً الى وقوع جائز فى المستقبل وهذا يتناول السمع والبصر والكلام وكونه سميعاً وبصيراً ومتكلماً .

٤) وقسم مختلف فيه هل دليله عقلى أم دليله نقلى وهى صفة الوحدانية وهذا الخلاف ناشىء من اختلاف المتكلمين هل يشترط فى خالق المعجزة أن يكون واحداً أم لا والحق أنه يشترط فى خالق المعجزة أن يكون واحداً ، وعليه أنه لا يستدل عليها إلا بالعقل لتوقف المعجزة على الوحدانية إذ لو إنتفت لحصل التمانع فينفى الفعل ومن جملته المعجزة وقيل يصح الاستدلال عليها بالسمع كالعقل.. فعلى هذا فدليل الوحدانية الناهض بها هو الدليل العقلى ويؤتى بالنقلى على وجه التقوية والتتمة .

الدليل العقلى لصفة الوحدانية

دليل الوحدانية بالمعنى المراد هنا وهو وحدة الذات والصفات والأفعال بمعنى عدم النظير فيها أنه لو تعدد الاله كأن يكون هناك الاهان لما وجد شيء من هذا العالم ولكن عدم وجود شيء من هذا العالم محال وباطل لأنه موجود بالمشاهدة وكل ما شوهد بالعين فلا انكار فيه فما أدى اليه وهو التعدد باطل واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية وهى عدم التعدد فى الذات والصفات والأفعال وهو المطلوب .

وإنما لزم من التعدد كأن يكون هناك إلاهان عدم وجود شيء من العالم لأنهما اما أن يتفقا على إيجاد شيء من العالم وإما أن يختلفا ، فهب أنهما إتفقا على إيجاد شيء من العالم فإما أن يوجداه معاً وهو محال لأنه يؤدى الى إجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال . وإما أن يوجداه مرتباً بأن هذا يوجده والآخر يوجده أيضاً وهو محال لأنه يؤدى الى تحصيل الحاصل وهو محال .. وإما أن يوجد أحدهما البعض ويوجد الآخر البعض وهو محال للزوم عجزهما حينئذ لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته كما هو المفروض وهذا عجز ويسمى هذا البرهان برهان التوارد لما فيه من تواردهما على شيء .

فثبت منطقياً أنه اذا تعدد الإله بأن يكون هناك إلاهان وإتفقا يلزم الفساد وهو عدم الوجود بالكلية وهو محال لمشاهدته بالاعيان .

وكذلك اذا تعدد الإله بأن يكون هناك إلاهانِ وإختلفا فى إيجاد شىء من الممكنات يلزم الفساد وهو عدم الوجود بالكلية ، فهب أنهما تعددا وإختلفا فى إيجاد شىء من العالم فلا يخلو حالهما من إحدى ثلاث وهى : -

١) إما أن ينفذ مرادهما معاً وهو محال لأنه يؤدى الى اجتماع النقيضين وهما الوجود والعدم فى ذات الممكن وهو محال وما أدى اليه محال اذ أن نفوذ مرادهما معاً محال وهو المطلوب أولاً .

٢) وإما أن لا ينفذ مرادهما معاً وهو محال لأنه يؤدى الى ارتفاع النقيضين عن ذات الممكن وهما الوجود والعدم وهو محال اذ ما أدى اليه وهو عدم نفوذ مرادهما معاً محال وهو المطلوب ثانياً .

٣) وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر وعليه فالذى لم ينفذ مراده فهو عاجز لا يكون الاهاً والذى نفذ مراده مثله فى العجز لانعقاد المماثلة بينهما ويحكى عن ابن رشد رضى الله عنه أنه اذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذى نفذ مراده هو الاله دون الآخر اذا كان مخالفاً لذاك فى جميع الوجوه وقد ثبتت له الوحدانية والمعتمد ان الاله لا يكون الا غير المتنازعين ويسمى هذا الدليل برهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى هذا الدليل فى قوله تعالى : -

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (١) . صدق الله العظيم .

أى لو كان فيهما جنس الآله غير الله لم توجدا لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجودهما فبطل ما أدى اليه وهو

(١) الانبياء آية (٢٢)

وجود جنس الآله غير الله سبحانه وتعالى والا فى الآية الكريمة اسم بمعنى غير وليست أداة استثناء لفساد المعنى حينئذ لأن المعنى عليه يكون لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، فيقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل.. والمراد بالفساد هو عدم الوجود بالكلية كما هو مقرر . وينبغى على ذلك أن الآية الكريمة حجة قطعية وهو التحقيق خلافاً لما جرى عليه بعضهم من أنها حجة إقناعية أى يقنع بها الخصم مع كون التلازم فيها ليس عقلياً بناءً على تفسير الفساد فيها بالخروج على النظام وإنما لم يكن التلازم فيها عقلياً على هذا لأنه لا يلزم حصول الفساد بالفعل .

الادلة النقلية السمعية لصفة الوحدانية

إعلم أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى واحد بالكتاب والسنة والاجماع.. فأما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) . وقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما) وقال تعالى ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وأما السنة ، ما روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنك

(١) سورة المائدة آية (٧٣)

تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم الى أن يوحدوا الله تعالى فاذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم فاذا صلوا فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم زكاة أموالهم تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فاذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس) . وكان هذا الخطاب لسيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه. وأيضاً ما روى البخارى عن عبد الله رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1] شق ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا :

أينا لم يلبس ايمانه بظلم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنه ليس بذلك ألا تسمعون الى قول لقمان ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[2]. وهكذا فان الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ناطقة بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

واما الاجماع فقد انعقد على أن الله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته وواحد فى صفاته وواحد فى الافعال .. روى أن سيدنا بلال بن رباح رضى الله عنه عندما كان يعذبه رأس الكفر أميه بن خلف بألوان العذاب كان يقول أحد أحد وكان يرددها فكان لها الوقع العظيم فى اغاظة المشركين فلما انتصر الاسلام والمسلمون سأل الصحابة رضى الله عنهم سيدنا بلال رضى الله عنه كيف تحمل عذاب أمية بن خلف ، فقال لهم : (كنت أمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان فتطغى حلاوة الايمان على مرارة العذاب فلا أشعر بشىء) . رضى الله عنه وعنهم وعنا وعن جميع المسلمين انه على كل

(1) سورة الانعام آية (٨٢)

(2) سورة لقمان اية (١٣)

شىء قدير وبالاجابة جدير انه نعم المولى ونعم النصير .

لطيفـــة :

سأل بعضهم خاتمة المحققين سلالة سيد قريش أبى عبد الله الشيخ محمد احمد عليش فقال : (ما قولكم) فى مسألة وهى أن من المعلوم أن مذهب أهل السنة والجماعة الايمان بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره ولا يحتج بذلك وأن القدرية يحتجون بذلك مع أنه رؤى أن موسى عليه الصلاة والسلام قال لأبينا آدم عليه الصلاة والسلام : أنت الذى كنت سبباً فى خروجنا من الجنة ، فقال له أبونا آدم ، ذلك بقضاء الله تعالى وقدره فسكت سيدنا موسى .. وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (حج آدم موسى) . وأيضاً حكى أن بعض العارفين وعظ الشرف المناوى حتى أبكاه ، فأنشأ الشرف يقول : -

يا ذا الذى آنسىً وعظـــه أنسيت ما قدر فى الماضـى
ان الذى ساقك لى واعظاً هو الذى صيرنى قاضـــى
والله ما قصدى سوى قربه فأختار أن يعكس أغراضى

وما نسب لابراهيم بن أدهم ، قال : (اللهم لم آت الذنوب جرأة عليك ولا إستخفافاً بحقك ولكن جرى بذلك قلمك ونفذ به حكمك والمعذرة اليك .. وقال أبو العباس الحريثى : من نظر الى الخلق بعين الشريعة مقتهم ومن نظر لهم بعين

الحقيقة عذرهم ، فهذه كلها توهم الاحتجاج بالقضاء والقدر فما الجواب . فأجاب رضى الله عنه بما نصه : -

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله . معنى قولنا لا يحتج بالقضاء والقدر : أنهما لا يحتج بهما فى رفع الأحكام الشرعية وإسقاط التكاليف المبنية على الكسب الثابت للعبد (٠) وعندناللعبد كسباً كلفاً (٠) به ، وهذا لا ينافى إعترافنا بالجبر باطناً وأن الله سبحانه وتعالى خالق لجميع أفعال العبد .. فمذهبنا وسط بين مذهب الجبرية والقدرية خرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين . وجواب آدم عليه الصلاة والسلام ليس احتجاجاً لرفع تكليف وانما هو تأديب فى البرزخ لولده موسى عليه الصلاة والسلام بأن اللائق بالولد أن ينظر لجهة عذر والده كما أفاد ذلك شيخ مشائخنا المحقق العلامة الأمير على حواشى الجوهرة كما أن كلام الشرف ليس احتجاجاً لرفع تكليف أيضاً وإنما هو تروح وكلام ابن أدهم ليس احتجاجاً لرفع تكليف أيضاً إنما هو استشفاع وإستعطاف كما هو ظاهر وكلام أبى العباس هو عين تقرير العقيدة من أن العبد له كسب ظاهر بنيت عليه التكاليف الشرعية من نظر له باعتباره عذره باطناً ولم يحقد عليه ، قال المحقق العلامة الأمير ، «وأعلم أن الاقرار بأن أفعال العباد لله أصل كبير فى نفى الكبر والعجب والفخر والرياء والسمعة وجميع الامراض الباطنية ويسد أبواب مؤاخذة الناس آهـ .. والى الحالة الثانية يشير قول ابن العربى عن سهل بن عبد الله أن للربوبية سراً لو ظهر لبطل حكم الربوبية ، وقال أيضاً ، غلب

عليّ شهود الجبر الباطنى حتى نبهنى تلميذى اسماعيل ، وقال لى لو لم يكن للعبد أمر ظاهرى ما صح كونه خليفة ولا متخلقاً بالاخلاق ، فدخل عليّ بكلامه من الفرح والسرور ما لا يعلمه الا الله تعالى . وقال المحقق العلامة الأمير عند قول الجوهرة (٠) وميت بعمره من يقتل (٠) وقول عبد السلام من غير مدخليه للقاتل فيه لا مباشرة ولا تولداً ما نصه والقصاص عندنا نظراً لظاهر الكسب كقول الفرضيين : من استعجل على شيء قبل أوانه عوقب بحرمانه آهـ .. وقال أيضاً وربما هجس لبعض القاصرين من أن حجة العبد لم تعذبنى والكل فعلك وهذه فى المعنى حجة عليه فالعذاب فعله أيضاً ولا يتوجه عليه من غيره سؤال فلله الحجة البالغة والله أعلم ..

وقال رضى الله عنه (وقد سئل) شيخ مشايخى خاتمة المحققين أبو محمد الأمير عن معنى قوله فى صفات الله تبارك وتعالى واحد لا من قلة وموجود لا من عله . (فأجاب بما نصه) .

الحمد لله الذى يحضر الفقير فى شرحه وجوه :-

الأول : أن معناه ليست وحدته وانفراده من أجل قلة من يتصف بالكمالات وصفات المجد وخلو الكون عنه فان هذا إنما يكون فى الحوادث وفى الحقيقة الوحدة بهذا المعنى نقص كما قال الشاعر :-

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... لمكرمة وفى الدنيا كريم
ولكن البلاد اذا إقشعرت ... وصوح نبتها رعى الهشيم

وأما وحدة الحق تعالى فذاتية بكمال لا سبيل لتطرق

الاشتراك اليه وقريب من هذا أن يقال معنى واحد لا من قلة أنه ليس له ماهية كلية ممكن تعدد أفرادها لكن قلت فلم يوجد منها إلا واحد بل هو منزه عن الماهية الكلية وعن الجنس والفصل ووجوده ذاتى ووحدته ذاتية لا يمكن فيها تطرف ولا قلة .

الثانى : ان معنى واحد لا من قلة أن وحدته تعالى ليست ناشئة عن تقليل بأن كان له أنداد وأشباه وشركاء فسطا عليهم حتى أبادهم على عادة الملوك فصار واحداً منفرداً بالملك بل وحدته أزلية قديمة ليست ناشئة عن قلة بمعنى تقليل ..

الثالث : ان وحدته تعالى ليست وحداتِ القلة كما يقع فى الحوادث بل هو واحد اليه ترجع جميع الكثرات وعلى وحدته تدور ألا الى الله تصير الأمور فهو واحد ظهرت وحدته فى جميع المظاهر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

. وهذا معنى شريف لا يمكن شرحه بالتعبير وإنما يراق بحسب الفتح والتجلى من الفتاح الخبير وهو معنى شهود الوحدة فى الكثرة الذى يعبر عنه القوم بوحدة الوجود وقد سفكت فيها دماء كثيرة بسبب العبارات الموهمة والمعنى قد يتعاظم على العبارة فلا يمكنها الاحاطة به حق الاحاطة فمن تكلف فى ذلك التعبير وقع فى أمر خطير ، قال الشاعر :-

(١) المجادلة آية (٧)

ويكفيك من ذاك المسمى إشارة ودعه مصوناً بالجلال محجبا

فحاشا الله ومعاذ الله من أن يريد القوم حلولاً واتحاداً كما توهمه العبارة . قال العارف ابن وفا رضى الله تعالى عنه ونفعنا به حاكيـــاً عن الحضـــرة الالهية :-

وعلمك أن كل الأمر أمرى هو المعنى المسمى باتحاد

ومقام العامة فى هذا تصديق الايمان بأن الأمر كله لله تعالى وإنما اختص الخواص بالذوق والعبارة وفرق بين من يعرف أن العسل حلو وبين حال من يذوقه بالفعل وهذا بحر لا ساحل له فلنمسك عنان القلم . قال بعض العارفين انما كفر من قال إن الله ثالث ثلاثة لأن جعله بعضاً من الثلاثة كما هو قاعدة فاعل مع ما اشتق منه من العدد فأوقع المشاكلة والمشابهة وجعله بعضاً من متعدد بخلاف ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم فان فيه معنى الجعل والتأثير كما هو قاعدة فاعل مع ما هو دونه فمعنى رابع الثلاثة جاعل الثلاثة أربعة فليتأمل . والرابع : أنه تعالى لا يوصف بقلة ولا بكثرة فانهما من صفات الحوادث وهو ليس كمثله شيء وجميع ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته ، لكن اقتصر على نفى القلة لأنها

المتوهم ثبوته بعد وصف الوحدة فكأنه قيل واحد لا يوصف بالكثرة ولا يوصف ايضاً بالقلة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

فائـــدة :

قال الامام الشافعى رضى الله عنه :-

(١) من إنتهض فى طلب مدبره فانتهى الى موجود ينتهى اليه فكره فهو مشبه .

(٢) وإن اطمأن الى العدم الصرف فهو معطل .

(٣) وإن اطمأن الى موجود وعجز عن إدراكه فهو موحد .

باب فى بيان جملة أبواب التوحيد

إعلم ان مدار هذا الباب الذى جعلناه أول ما يلزم المكلف معرفته على أصول خمسة :-

أولها إثبات الطريق الى الله تعالى .

والثانى أن المحدثات لابد لها من محدث .

والثالث ما يستحقه هذا المحدث من الصفات التى تجب لذاته .

والرابع ما يجب نفيه عنه من الصفات التى لا تصح عليه فى كل حال أو فى بعض الحالات .

والخامس أنه واحد فى هذه الصفات فلا احد يشاركه فى مجموعها نفياً وإثباتاً ولا فى آحادها أن يستحقه على الحد الذى إستحقه تعالى .

الأول إثبات الطريق الى الله تعالى . الطريق هو الصراط المستقيم والذى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن ندعوه الهداية اليه فى كل يوم وليلة أكثر من سبعة عشر مرة ، قال تعالى فى فاتحة الكتاب ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمْ﴾ أى أرشدنا ، وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى أعود اليك ، ومعناه ، دم على ما أنت عليه ، وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية ، بمعنى سؤال التثبيت وطلب مزيد الهداية لأن الألطاف والهدايات من الله لا تتناهى وهذا مذهب أهل السنة والجماعة والصراط الطريق ، قال جرير :

أمير المؤمنين على صراط   إذا اعوج الموارد مستقيم

أى على طريقة حسنة ، قال ابن عباس رضى الله عنهما ، هو دين الاسلام ، وقيل هو القرآن ، وروى ذلك مرفوعاً ، وقيل السنة والجماعة ، وقيل معناه إهدنا صراط المستحقين للجنة . ﴿صِرَاطَ الذِّينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هذا بدل من الأول أى الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبياء والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله : ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الذِّيْنَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّقِيينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ﴾ وقال ابن عباس ، هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا ، وقيل هم أصحاب سيدنا محمد ﷺ وأهل بيته المطهرين﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١) ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم﴾ يعنى غير صراط الذين غضبت عليهم ، والغضب فى الأصل هو ثوران دم القلب لإرادة الانتقام ومنه قوله ﷺ

---

(١) الاحزاب الآية (٣٣)

إتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا الى إنتفاخ أوداجه وحمرة عينيه.واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره لاستحالة ذلك عليه لما فيه من مماثلة الحوادث ، وهو إنتقامه من العصاة ، وغضب الله لا يلحق عصاة المسلمين وإنما يلحق الكافرين . ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ أى غير الضالين عن الهدى ، وأصل الضلال الغيبوبة والهلاك ، يقال ضل الماء فى اللبن اذا غاب فيه وهلك . وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . عن عدى بن حاتم عن النبى ﷺ قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال ، أخرجه الترمزى وذلك لأن الله سبحانه وتعالى حكم على اليهود بالغضب فقال ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ (١) وحكم على النصارى بالضلال فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ ﴾ (٢) المائدة (٧٧) . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

والله أعلم .

والثانى إن المحدثات لابد لها من محدث ، فحدوث العالم بأسره عقيدة يجب الايمان بها على كل مكلف ، والحدوث هو الوجود بعد العدم وضده هو القدم والقديم واحد هو الله سبحانه وتعالى وهو الموصوف بالقدم وما سواه حادث وأحسن ما فسر به القدم هو عدم الأولية فالله جل شأنه وعظم سلطانه هو الأول من غير ابتداء وما سواه من المخلوقات هى المحدثات والتى أوجدت بعد العدم إذ كان الله موجوداً فى الأزل ولا شىء معه والآن على ما عليه

---

(١) المائدة آية (٦٠)

(٢) سورة المائدة اية (٧٧)

قبل وجود الممكنات كان فالأزل هو عبارة عن أزمنة مقدرة لا أول لها فى جانب الماضى ، واختلف المتكلمون ، هل القديم والأزلى مترادفان أم هما متغايران ؟ والحق الترادف إذ كل ما لا أول له سواءً كان قائماً بنفسه أو قائماً بالغير وجودياً كان أو عدمياً حال أو اعتبار يقال له قديماً ويقال أزلياً إذ هما متغايران لفظاً وخطاً ومترادفان فى المعنى .

وقيل أن القديم هو القائم بنفسه وكل ما لا يقوم بنفسه يقال له أزلى لا قديم . والقائم بنفسه يقال له أزلى وقديم .

وقيل الأزلى هو الموجود وكل ما لا وجود له عدمياً كان أو حالاً أو إعتباراً يقال له أزلى لا قديم ، وعليه لا يطلق القديم إلا على الذات والصفات الوجودية وهى القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . فالمحدثات أو المخلوقات أو الكائنات أو الممكنات أو الموجودات الحادثة أو العالم أو العالمين كلها إسم لما سوى الله سبحانه وتعالى كما قال صاحب إضاءة الدجنة :-

العالم إسم لما سوى الديان من نوعى الاعراض والاعيان

والثالث ما يستحقه من الصفات التى تجب لذاته .

إعلم أيها المكلف ان الله سبحانه وتعالى ذات موصوف بصفات الجلال والجمال والكمال فهو جل شأنه لا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون ويعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون فى مائية ذاته ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم . وكل ما خطر بقلب البشر ، فالله بخلاف ذلك ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [1]

---

(١) الشورة آية (١١)

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١)

سبحانه تنزه عن الضد والشريك وتقدس عن المثيل والشبيه وتعالت عظمته عن الاحاطة والشمول لا تحده الحدود والجهات ولا تحصره الاسماء والصفات له الاسماء الحسنى والصفات العلى فيجب لله تعالى إجمالاً كل كمال وتفصيلاً عشرون صفات وهى : -

الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية والقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً .

الرابع ما يجب نفيه عنه من الصفات التى لا تصح عليه فى كل حال أو فى بعض الحالات : -

إعلم أيها المكلف أن كل نقص مستحيل على الله سبحانه وتعالى إجمالاً ويستحيل عليه جل شأنه تفصيلاً عشرون صفة وهى : -

العدم والحدوث والفناء والمماثلة للحوادث والافتقار للمحل والمخصص والتعدد فى الذات والصفات والأفعال والعجز والكراهة والجهل والموت والصمم والعمى والبكم وكونه تعالى عاجزاً ومكرهاً وجاهلاً وميتاً وأصماً وأعمىً وأبكماً .

الخامس أنه واحد فى هذه الصفات فلا أحد يشاركه فى مجموعها نفياً وإثباتاً ولا فى آحادها أن يستحقه على الحد الذى إستحقه تعالى . إعلم أيها المكلف أن الله سبحانه وتعالى واحد فى صفاته كما تقدم فى وحدانية الصفات فصفات القديم قديمة بقدم موصوفها فالصفة لا تفارق

(١) سورة الانعام اية (١٠٣)

الموصوف وصفات الحادث حادثة بحدوث موصوفها فربنا سبحانه وتعالى هو الغنى عن كل ما سواه وأن كل ما عداه مفتقر إليه كل الافتقار جل من قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (١). فقد تكرم الله على العباد بنعمتى الايجاد والامداد فسبحانه ابتدأ الانسان بنعمته وصوره فى الأرحام بحكمته وأبرزه الى رفقه وما يسره له من رزقه وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيماً ونبهه بآثار صنعته واعذر إليه على السنة المرسلين الخيرة من خلقه فهدى من وفقه بفضله وأضل من خذله بعدله فله الحمد وله المنه فى البدء وفى الختام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى اللهم على سيدنا محمد ذى الخلق العظيم وآله وصحبه ما شفىء من داء القلوب سقيم .

---

(١) سورة فاطر اية (١٥)

«ان اكرمكم عند الله اتقاكم»

فالتوحيد عند أهل الأسرار مراتب ودرجات. ادناه التوحيد اللساني بقول لااله الا الله محمد رسول الله، ثم التوحيد البرهاني وذلك بتحصيل علم العقائد مع التفكر والتأمل والاقتناع، ثم التوحيد حياة وعملا وسلوكا وذلك بأن تكون حياة العارف مطابقة لأمر الله ومبذولة كلها له حتى يكون ما شآء الله شاء إمتثال لأوامره و إجتنابا لنواهيه.

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) «١»

ومثل هذا العارف تتوحد أقواله بأفعاله وتتطابق نياته مع أعماله ويتماثل ظاهره مع باطنه فظاهره مع الشريعة وباطنه على الحقيقة حيث لارياء ولانفاق ولاكذب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) «٢» فذروة التوحيد هو التوحيد الشهودي وهو أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تراه فانه يراك و لله در بعضهم في تواجده لله

جمالك في عيني وذكرك في فمي
وحبك في قلبي فاين تغيب

«١» سورة الانعام الايه (١٦٢ - ١٦٣)
«٢» سورة التوبه الايه (١١٩)

التوحيد

حده لغةً: هو العلم بأن الشيء واحد. نسبة لمباحث الوحدانية لأنها أشرف صفات السلوب علي المعتمد، ومبحثها هو أشرف مباحث التوحيد علي الإطلاق.

وأما التوحيد في الإصطلاح فلنا فيه ثمانية تعاريف. منها أربعة بمعني الفن المدون أي المكتوب. وأربعة بمعني ما يؤل الي عقيدة المكلف أي التوحيد شرعا وهي:-

أولاً: التوحيد بمعني ما يول الي عقيدة المكلف:

١/ وهو للشيخ إبرهيم البيجوري رحمه الله تعالي قال: التوحيد هو إفراد المعبود بالعبادة مع إعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

٢/ وهو للشيخ إبراهيم البيجوري أيضاً رحمه الله: وهو أن التوحيد هو إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ولا معطلة عن الصفات أي صفات الجلال والجمال والكمال وهي ذات مولانا سبحانه وتعالي المنزهه عن كل نقص الموصوفة بكل كمال.

٣/ وهو للشيخ ذي النون المصري: وهو أن التوحيد شرعاً هو أن تعرف قدرة الله تعالي في الأشياء بلا علاج، وصنعه للأشياء بلا مزاج وعلة كل شئٍ صنعه ولا علة لصنعه.

٤/ وهو للشيخ الجنيد رحمه الله: وهو أن التوحيد شرعاً هو إفراد القدم عن الحدوث. وياله من تعريف جامع مانع.

<u>ثانياً</u>: التوحيد بمعني الفن المدون:

١/ وهو للشيخ البيجوري رحمه الله تعالي: وهو أن التوحيد في الأصطلاح علم يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية المكتسب من أدلتها اليقينية.

٢/ وهو للشيخ سعد الدين التفتازاني رحمه الله تعالي: وهو أن التوحيد هو العلم بالعقائد الدينية الناشئ عن أدلتها اليقينية.

٣/ وهو للشيخ العضد رحمه الله تعالي: وهو أن التوحيد في الإصطلاح بمعني الفن المدون، هو علم يقتدر معه علي إثبات العقائد الدينية علي الغير وإلزمه إياها مع إيراد الحجج ودفع الشبه.

٤/ وهو للقاضي الأرموني رحمه الله تعالي قال: التوحيد في الإصطلاح بمعني الفن المدون أي المكتوب، هو علم يبحث فيه عن ذات الإله من حيث أنها قديمة ومخالفة للحوادث وعن صفاته من حيث تقسيمها إلي نفسية وسلبية، ومعاني ومعنوية، ومتعلقة وغير متعلقة، وتعلق عام وتعلق خاص، وقديمه وحادثه. وعن أحوال الممكنات في المبدأ من حيث أنها حادثه وناشئة بالإختيار لا بالطبع ولا بالعلة وعن المعاد من حيث الحشر وبقية السمعيات علي قانون الإسلام أي قواعده غير المصادمة للشرع وبقية النبويات.

بسم الله الرحمن الرحيم

باب درج العقائد

تحت معني الكلمة الشريفة

لا إله إلا الله محمد رسول الله

ولبيان ذلك ينبغي التوضيح لمفردات أم القواعد، لا إله إلا الله.

فلا: نافيه للجنس وقد نفت جنس العبادة بحق لغير الله سبحانه وتعالي. والعبادة هي غاية التذلل والخضوع لمن يعتقد فيه صفة من صفات الألوهية.

والإله: هو المعبود بحق أو تقول الإله هو المستغني عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ماعداه.

والألوهية: هي العبادة بحق أو تقول هي: إستغناء الإله عن كل ما سواه وإفتقار كل ما عداه إليه.

وإلا: هي أداة استثناء وهي قد إستثنت العبادة بحق أي «الألوهية» لله وحده لا شريك له، قال الله تعالي:(وإلهكم إله واحد) ١

(وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد فإيي فارهبون)٢

الله: تعريفه عند المتكلمين هو من تقدم وجوده وعظمت ذاته وصفاته ودام إمتنانه أي دامت منته علي خلقه.

وبتعريف أخر هو واجب الوجود المستحق لجميع المحامد والكمالات الخالق للعالم.

وعند الفقهاء الله: هو علم دال علي الذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد والكمالات وهي ذات مولانا سبحانه وتعالي المنزهه عن كل نقص الموصوفة بكل كمال وذلك علي سبيل علمية الشخص علي التحقيق وليس بمشتق علي المعتمد ولا يسمي به غيره.

١- سورة النحل الآية «٢٢»

٢- سورة النحل «٥١»

وقيل هو الإسـم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي وإنما تخلفت الإجابه لتخلف شروط الدعاء والتي من ضمنها أكل الحلال وأن يكون موقناً بالإجابة وهذا في إستجابة الدعـاء عاجلاً وإلا فإن الدعاء مستجاب مطلقاً بمحض فضل الله تعالي فمن وفق للدعاء فقد ضمن الله له الإجابة لقوله تعالي:{ وقال ربكم أدعوني استجب لكم }١. وقوله تعالي { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب جيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون }٢. وقال العلماء الإجـابة قد تكون عاجلاً أو آجلاً أو مدخرة الي يوم القيامة وربنا سبحانه وتعالي أدري بأحـوال العبـاد ومصالحـهم من أنفسـهم قال تعـالي:{ وعسي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شـر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون }٣

ولا إله إلا الله لها معنيـان:

- معني حقيـقي.
- ومعني لازم.

معناه الحقيـقي: لا معبود بحق إلا الله.

معناه اللازم: هو لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقر إليـه كل ما عداه إلا الله.

والمعنـي اللازم لازم للمعني الحقيقي، ووجـه اللزوم يلزم من كونـه معبود بحق أن يكون مستغني عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ماعداه.

فينـدرج تحت كلمة لا إله إلا اللـه خمسـون عقيدة. إذ ينـدرج تحت إستغناء الإله عن كل ما سـواه ثمانية وعشرين عقيدة، منها أربعة عشـر عقيـدة واجبة. وأربعة عشر مستحيلة.

١- سورة غافر الآية «٦٠»

٢- سورة البقرة الآية «١٨٦»

٣- سورة البقرة الآية «٢١٦»

الأربعة عشر الواجبة هي: الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته سبحانه وتعالي للحوادث، وقيامه تعالي بنفسه، وإتصافه سبحانه وتعالي بكل كمال يوجب له السمع، والبصر، والكلام، وكونه تعالي سميعاً، وبصيراً، ومتكلماً، وعدم وجوب الفعل عليه، وعدم التأثير بالقوة المودعة، وتنزهه سبحانه وتعالي عن الأغراض في الأفعال والأحكام.

فهذه أربعة عشر صفة واجبة وضدها أربعة عشر مستحيلة وهي: العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة للحوادث، والأفتقار المحل والمخصص، والصمم، والعمي، والبكم، وكونه تعالي أصماً، وأعمي، وأبكماً، ووجوب الفعل عليه، والتأثير بالقوة المودعة، وإتصافه عز وجل بالإغراض في الأفعال والأحكام.

وأما إفتقار كل ماعداه إليه فيندرج تحتها إثنين وعشرين عقيدة. منها إحدي عشر عقيدة واجبة، وإحدي عشر مستحيلة.

والإحدي عشر الواجبة هي: الواحدانية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، وكونه تعالي قادراً، ومريداً، وعالماً، وحياً، وحدوث العالم بأسره وعدم تأثير شيء من الكائنات في أثر ما بطبعه أو بعلة.

والإحدي عشر المستحيلة هي: التعدد في الذات والصفات والأفعال، والعجز، والكراهة، والجهل، والموت، وكونه تعالي عاجزاً، ومكرهاً، وجاهلاً، وميتاً، وقدم شيء من العالم وتأثير شيء من الكائنات في أثر ما بطبعه أو بعلة.

وأما محمد رسول الله(صلي الله عليه وسلم): فيندرج تحتها ستة عشر عقيدة، منها ثماني عقائد واجبة، وثماني مستحيلة.

الثماني عقائد الواجبة هي: الصدق والأمانة والتبليغ، وجواز الأعراض البشرية التي لا تؤدي الي نقص في مراتبهم العلية، ويدخل تحت ذلك الأيمان بسائر الرسل والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر.

والثماني عقائد المستحيلة ضد الواجبة وهي: الكذب، والخيانة، والكتمان، وعدم جواز الأعراض البشرية عليهم، وعدم الرسل، وعدم الملائكة، وعدم الكتب السماوية، وعدم اليوم الآخر.

فهذه ستة عشر عقيدة تندرج تحت محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فإذا ضممتها الي الخمسين عقيدة المندرجة تحت معني لا إله إلا الله اللازم كانت جملة العقائد المندرجة تحت معني لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ستة وستون عقيدة، وهي تندرج تحت لفظ الجلالة (الله).

فإذا حسبته بالحروف الأبجدية، فالألف واحد، واللام الأولي ثلاثون والثانية ثلاثون كذلك والهاء خمسة فجملة ذلك ستة وستون، وهي جملة العقائد المندرجة تحت معني لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم)، والله إعلم.

قال العلامة الشيخ عبدالواحد بن عاشر في كتابه المرشد المعين علي الضروري من علوم الدين، والذي قال فيه بعض العارفين:

عليك إذا رمت الهدي وطريقه — وبالدين للمولي الكريم تدين

بحفظ نظم كالجمان فصوله — وماهو إلا مرشد ومعين

قال:

وقول لا إله إلا الله — محمد أرسله الإله

يجمع كل هذه المعاني — كانت لذا علامة الإيمان

وهي أفضل وجوه الذكر — فاشغل بها العمر تفز بالذخر

وقال العارف بالله الشيخ أحمد الدرديري رحمه الله تعالي:

وينطوي في كلمة الإسلام ... كل ماقد مضي من سائر الأحكام
فأكثرن من ذكرها بالأدب ... ترقي بهذا الذكر أعلي الرتب
وغلب الخوف علي الرجاء ... وسر لمولاك بلا تنائي
وجدد التوبة للأوزار ... لا تيأسن من رحمة الغفار
وكن علي ءآلآئه شكوراً ... وكن علي بلائه صبورا
وكل أمر بالقضاء والقدر ... وكل مقدور فما عنه مفر
فكن له مسلماً كي تسلما ... واتبع سبيل الناسكين العلماء
وخلص القلب من الأغيار ... بالجد والقيام في الأسحار
بالفكر والذكر علي الدوام ... مجتنباً لسائر الآثام
مراقباً لله في الأحوال ... لترتقي معالم الكمال
وقل بذل رب لا تقطعني ... عنك بقاطع ولا تحرمني
من سرك الأبهي المزيل للعمي ... واختم بخير يا رحيم الرحما

فلا إله إلا الله محمدُ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) هي أفضل وجوه الذكر، فأشغل بها أيها المكلف العمر، وعمر بذكرها أوقاتك تفذ بالذخر أي الذخيرة التي لا يعادلها شئ.

رُوي عن علي الرضا بن موسي الكاظم لما دخل نيسابور، كان في قبة مستورة علي بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظ أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي، ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصي، فقال أحدهما:(يا أيها السيد الجليل بن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون، ورويت لنا حديثا عن جدك نذكرك به). فاستوقف غلمانه، وأمر بكشف المظلة، وأقر عيون الخلائق برؤية طلعتَه، وإذا له ذؤابتان معلقتان علي

عاتقه، والناس قيام علي طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومتمرغ في التراب، و علا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، أنصتوا واستمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم. وكان المستملي آبا زرعة ومحمد بن مسلم الطوسي، فقال علي الرضا رضي الله عنه: حدثني أبي موسي الكاظم عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه علي زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلاء (الإمام الحسين)، عن أبيه علي المرتضي كرم الله وجهه قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلي الله عليه وسلم قال، حدثني جبريل عليه السلام قال، حدثني رب العزة سبحانه وتعالي قال:(لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من غذابي)١.

ثم أرخي الستر علي المظلة وسار. قال فعد أهل المحابر والكتاب الذين كانوا يكتبون فزادوا عن عشرين ألفاً.

قال أحمد رضي الله عنه:(لو قرئ هذا الإسناد علي مجنون لأفاق بإذن الله تعالي). وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه:(اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء الساسانية فكتبه بالذهب وأوصي أن يدفن معه في قبره. فروي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي أن محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم.

١- أورده المناوي في شرحه الكبير علي الجامع الصغير

قال ابن العربي:(من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة نجا من النار)١.

و روي أيضا آنه من قال (لا إله إلا الله) سبعين ألفا ولو في عمره كله - مرة واحدة - كانت فداءه من النار. ولعل هذه هي التي تسمي بالعتاقة الصغري، يذكرها الأحياء فيفدون بها أنفسهم من النار ويهدون ثوابها إلي الأموات فتعتق رقابهم بكرم الله وواسع رحمته.

قال السهروردي، من داوم علي ذكر (لا إله إلا الله) كل يوم ورداً يسر الله له أسباب الرزق. فقرآها آيها الذاكر فدية لنفسك وهدية مقبولة - ان شاء الله - لوالديك وأقاربك ولمن تحب من المسلمين، وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم إذ يقول:(إنما الأعمال بالنيات وأنما لكل امرئ ما نوي).

وروي أيضاً أن النبي صلي الله عليه وسلم أمر صائغا أن يكتب علي خاتم (لا إله إلا الله) فكتب الصائغ:(لا إله إلا الله محمد رسول الله) فقال كتبت؟ فسكت الصائغ.... فأوحي الله إلي النبي صلي الله عليه وسلم:(أحببت أسمنا فكتبته، وأحببنا أسمك فكتبناه). أي آن الله تعالي ألهم الصائغ أن يكتب إسم الرسول صلي الله عليه وسلم مع إسمه تبارك وتعالي.

١- جاء في الجزء الرابع من الفتوحات المكية صفحة (٥٢) للشيخ محي الدين بن عربى (اعتق رقبتك من النار بقولك لا إله إلا الله سبعين ألف مرة لتكون عند الله من الذاكرين المذكورين. ولو آن السموات والأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة، لرجحت بهم. ولا تقوم الساعة وعلي وجه الأرض من يقول الا إله إلا الله محمد رسول الله.

فلا إله إلا الله أنس المؤمن عند موته، ونوره في قبره، ورفيقه في بعثه، وضمينه في حشره، وشفيعه في نشره. فأكثرن من ذكرها بالأدب ترقي بهذا الذكر أعلي الرتب، ولا يزال الذاكر بتوفيق من الله يكرر ذكر لا إله إلا الله حتي يغلب علي قلبه الشهود فيعبد الله كأنه يراه، فلا يري في الكون كله إلا الله وحده لا شريك له، لأن الكون كله من مظاهر أسمائه وصفاته سبحانه وتعالي.

روي الترمذي والنسائي أنه صلي الله عليه وسلم قال:(أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله). و روي الإمام مالك في موطئه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال (أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له)

اعلم أيها المكلف سقاك الله كأس حمياه من محبته وألبسك خلع رضوانه وكرامته أن الذكر لا يثمر ثمرته المرجوة إلا بالتخلص من إثار الذنوب بالتوبة النصوح والإستغفار ولا سيما في الأسحار، والإنابة الي الواحد القهار فلنسترشد بقول الحق تبارك وتعالي:(إنما التوبة علي الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً)١. وقوله تعالي:(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما)٢.

١- سورة النساء الآية (١٧)

٢- سورة النساء الآية (١١٠)

وقوله تعالي:(والذين أذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون)١. وقال جل شأنه:(فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك)٢. وقال تبارك اسمه:(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)٣. وقال عز من قائل:(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا)٤. وقال سبحانه وتعالي:(ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما)٥.

من هذه الآيات البينات وأمثالها تدرك فضائل الإستغفار كما تدركها من قول الحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم:(من أكثر من الأستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب). وقوله صلي الله عليه وسلم:(الأمان الباقي الإستغفار). وقوله صلي الله عليه وسلم:(من أعطي الإستغفار لم يحرم من المغفرة). وجاء في صحيح البخاري رحمه الله تعالي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال:(سيد الإستغفار: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علي عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

١- سورة آل عمران الآية (١٣٥).
٢- سورة محمد الآية (١٩).
٣- الأنفال الآية (٣٣).
٤- سورة نوح الآية (١٠).
٥- سورة النساء الآية (٦٤).

سـأل بعض الخواص ابليس: ما أشدُ ما يكون عليك من بن آدم ؟، قال الاستغفار، وأكل الحلال. فقال له: وماذا تفعل ؟ قال: لا أزال عليه حتي أمنعه من الاستغفار، ليغضب عليه الجبار، وأطعمه الحرام حتي يقف عمله عن الصعود الي الملأ الأعلي، فإذا قدرت عليه فلا أبالي، ولو صلي كل يوم ألف ركعة.

نعوذ بالله من مكائد الشيطان الرجيم ونسأل الله العظيم أن يجعلنا وسائر المسلمين في حرز منيع من كيده إنه نعم المولي ونعم النصير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

حسب الرسول إبراهيم الشيخ إدريس

إمام جامع السوق الكبير

حلة كوكو

الخاتمة

قد تم بعون الله وتوفيقه مبحث الموارد الهنية لصفة الوحدانية على مذهب الأشعرى ونهج الأدهمية فلله الحمد والمنه والشكر الجزيل ونسأله العناية والتوفيق وأن ينفع به كل من اطلع عليه انه على كل شىء قدير وأقول كما قال بعضهم رضى الله عنهم :-

يامن غدا ناظراً فيماجمعت وقد أضحى يردد فى افنائه النظرا
سألتك الله أن عاينت من خطأ فأسترعلى فخير الناس من سترا

وقال بعضهم فى مدح علم الكلام :-

أيها المقتدى لتطلب علمــاً كل علم عبد لعلم الكـــلام
تطلب الفقه كى تصحح حكماً ثم أغفلت منزل الأحكـــام

وقال آخر رضى الله عنه :-

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم وما عليه اذا عابوه من ضرر
ماضرشمس الضحىفى الافق طالعةأن لايرىضوءهامن ليس ذابصر

وقال آخر رضى الله عنه : -

وأعلم بأن العلم ليس يناله من همه فى مطعم أو ملبس
إلا أخو العلم الذى يعنو به فى حالتيه عارياً أومكتسى
فأحرص لتبلغ فيه حظاً وافراً وأهجر له طيب المنام وغلس
لتعذ حتى اذا حضرت بمجلس أكرمت فيه وكنت صدر المجلس
ان الخلى من العلوم مقامه عند النعال وله صموت الأخرس

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله هذا الكتاب فى يوم الأحد ٢٦ رمضان سنة ١٣٩٩هـ الموافق التاسع عشر من أغسطس ١٩٧٩م ونسأل الله لنا حسن الخاتمة ولجميع المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الشيخ/ مبارك محمد سعيد عثمان احمد بركات

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد والصلاة والسلام على النبى الأوحد الذى قدره لم يحد وعلى آله وأصحابه الذين حازوا الفخر والسؤدد ، وبعد :

قد أطلعت على مؤلف الموارد الهنية لصفة الوحدانية على مذهب الاشعرى ونهج الأدهمية للفاضل العالم الكاتب المؤلف الشاعر الأديب الأخ/ حسب الرسول ابراهيم الشيخ ادريس ضاعف الله لمؤلفه ومعينيه الأجور وكافأه بالفضل الجزيل ونفع به الكثير والقليل ومنه يؤخذ أن مؤلفه كثير العلم واسع الصدر عامله الله بالاحسان ونفع بمعلوماته فى السر والاعلان آمين .

بقلم المتطفل على مائدة العلم
المتكل على سعة الحلم الفقير اليه جل
شأنه مبارك محمد سعيد عثمان احمد بركات .

٢٣/محرم ١٤١٥هـ

المراجع

وأجلها القرآن الكريم

١- قواعد العقائد لحجة الاسلام الامام الغزالى

٢- الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد للحافظ البيهقى

٣- رسائل العدل والتوحيد للامام حسن البصرى

٤- الاسماء والصفات للحافظ أبوبكر احمد بن الحسين البيهقى .

٥- المقدمات للعلامة الشيخ يوسف السنوسى .

٦- حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم البيجورى .

٧- حاشية الباجورى على السنوسية للشيخ ابراهيم البيجورى .

٨- نهاية الأرب فى فنون الأدب للشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويرى .

٩- حاشية الصاوى على الخريدة البهية للدرديرى للعلامة احمد الصاوى .

١٠- الفواكه الدوانى شرح على رسالة ابن أبى زيد عبد الرحمن القيروانى للشيخ احمد بن غنيم بن مهنا النفرواى .

١١- جامع كرامات الاولياء للشيخ يوسف النبهانى .

١٢- توحيد وأنبياء موسوعة عباس محمود العقاد الاسلامية .

١٣- حاشية ابن حمدون على مياره الصغرى على المرشد

المعين على الضرورى من علوم الدين للعلامة أبى عبد الله محمد الطالب بن العلامة حمدون بن الحاج .

١٤- فتح العلى المالك فى الفتوى على مذهب الامام مالك للشيخ محمد احمد عليش .

١٥- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الشهير بالخازن المتوفى سنة ٧٢٥هـ .

١٦- تفسير البغوى المعروف بمعالم التنزيل لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغدادى المتوفى سنة ٥١٦هـ .

قصيدة الشيخ القاسم العركي

في مدح الأستاذ الخليفة حسب الرسول الشيخ محمد بدر

رحمه الله

خل التغزل بالعزيب وعذبه واهرع الي الحصن الحصين وعذ به
ودع الطلول الدارسات بحاجر والجأ إلي حسب الرسول ولذ به
تجد الهدي تلقي الندا حيث المنا فالدين والدنيا بداخل حربه
المال مبذول لبر عفاتنا و الدين مدخر لبر محبه
والناس منهم راتع في دينه والبعض يرعي في الخصيب وخصبه
بطل يحارب نفسه وقرينه لا طاقة لهما بفاتك حربه
متدرع بالصبر مذ حل التقي في مقلتيه وفي سويدا لبه
شهم إذا هطلت غمائم جوده أغنتك عن هطل الغمام وسكبه
هو جوهر فرد وعز نظيره وسواه من حصب الغفار وتربه
إنا ضربنا الأرض مشرقها وذا ت يمينتا وشمالنا وبغربه
ما إن وجدنا غير نذر صادق قد ضمه عقد الثقات بجنبه
والجل منهم بين غمرٍ حائر ومدلس خلط الحليب بشوبه
هجم الضلالُ علي العبادِ وليتهم أمنوا علي إيمانهم من سلبه
يارب إيمان العجائز جد به واحفظه في كل القلوب وأربه
لا تحسبوني أنني متعصب غلب الأسي واحسرتا من غلبه
والدين أقرب من غريب نازح أألام في ضرب البغات بعضبه
لكنه قد حل في حلل التقي كالظرف في حسب الرسول ونجبه
إن كنت مرتاباً لقولي جاحداً فلمجسد أم ضبان سر وامرر به
واسأل عن القرآن أين وجوده فتراه منحصراً به وبرحبه
واسأل عن النفقات هل من منفقٍ مالاً حلالاً طيباً من كسبه

وسل التقي وسل الصفاوسل الوفي ... تجد الجميع سوت به في حقبه
والسنة الغراء أغفر ربعها ... إلا لدي حسب الرسول وعربه
وسل المكارم والمفاخر كلها ... تنبيك صدقاً أنها غرت به
وأعاد وجه الدين أبيض مسفراً ... والمسلمون عيونها غرت به
ناهيك والخلق العظيم شعاره ... ما الكبر ما عمل الريا من دأبه
وجه صبيح كالصباح صباحةً ... ويلوح فوق سنائه النور البهيء
إني أعيذ جماله وجلاله ... بنبيه و المنجيات وربه
يا عاذلي أقصر فإني مولع ... بالدين مأسور به و بحبه
لا أختشي في الدين لومة لائم ... من لام ها أنا مستعد لذبه
وأري الفضائل في العبيد تجمعت ... وبنيه والآل الكرام وصحبه
قطب تخلي عن سوي مولاه ... واختار الإله له الدنوّ لقربه
لا زالت الرحمات تسري نحوه ... وتعمنا بسلوك منهج دربه
قد كان للإسلام سداً مانعاً ... شبه الغواية أن تثور بسحبه
بفقده عنا وفقد نظيره ... انهمر الضلال بودقه وبصبيه
ربي بجاه الصالحين وسرهم ... اكشف عن الران المحيط بقلبه
لهفي علي زمن مضي قضيته ... فيها يشين ولم أكن من حزبه
لما رأي نور الجنات تلهفي ... قال اتئد سر النبات بحبه
إن لم تفز بلقائه فاظفر ... بالسر المصون المنتقي من صلبه
بديار بدر أنجم سيارة ... والبدر فيهم سابح من سربه
إن رام مقتر لحاق خطاهمو ... فالله يشهد والهوان بكذبه
دع أسد بيشه واحترز من فتكهم ... فالموت مابين الصقيل وضربه
وتراث كل قد حواه آخو الندي ... وسقاه والده الصفا من شربه
ياموئل الغرباء يا غوث الوري ... يا ملجأ المضطر مأمن رعبه

إن لم تري الأيتام مثلك كافلاً ما لليتيم سوي البعاد وضربه
إن أرهقتك ملمة او أزمة نادي أيا حسب الرسول تُجر به
يأتيك فوق الصافنات أمامه الجيلي بجيش المخلصين وشعبه
بيمينه وشماله أسد الشري الأعـ ـراك هم متعصبون لعصبه
وبخلفه الشيخ العبيد يقود أبطال الوغي يتعقبون بعقبه
فالكون طوع مراده مهما يشاء من رطبه او صعبه او صلبه
يا نيراً نارت به ظلم الدجا وتنور الساري بثاقب شهبه
أبشر فإن الله يكلأ بيتكم ما للحسود سوي النكال وعطبه
ثمر الهدي يجني بجنة بيتكم كفواكه الكرم العريض وأبه
خلقت أكفكم لنصرة معسر وتحول بين أخا الكروب وكربه
ما قلت فيكم غير ماشهدت به مني الجوارح وهو بعض تشبه
مهما أقول فنقطة من بحركم قولي ومن لي بالرمال وحسبه
هيهات تستقصي فضايلكم فذي نشوي محب في محاسن حبه
عذراً فمدحي عن علاكم قاصراً والحب يركب مبتلاه لصعبه
والشيب أضعف فكرتي وفطانتي وقريحتي شابت فكيف بطبه
ونوايب السبعين أوهت مهجتي والدهر أجدب وارتديت بجدبه
فأقبل عروباً لا يفي بصداقها إلا القبول وخص منشيها به
إن لم تفي بالمدح فافتخرت بنستها إليك وما لها من مشبه
وانت من الإلهام واردة بدون تكلف وتدبر وتنبه
فاسلم ودم ويدوم بحرك زاخراً يروي العطاش بمصه وبعبه
ما القاسم المتار يشدو منشداً خل التعزل بالعذيب وعذبه
ويتيه من طرب وقال مؤرخاً الخير في حسب الرسول بجبه

فهرست الموضوعات



نبذة عن المؤلف

* ولد الاستاذ/ الشيخ حسب الرسول ابراهيم الشيخ ادريس سنة ١٩٤٥م ونشأ بحلة كوكو شرق النيل ولاية الخرطوم.
* اكمل تعليمه الثانوى العالى بمدرسة الانجيلية الثانوية الخرطوم ١٩٦٦م. والتحق بحلقة الاستاذ/ الشيخ الفكى الحسن محمد سالم من طلبة الادهمية بحلة كوكو والازيرقاب منذ سنة ١٩٦٤م فى دروس منتظمة فى يوم الاحد من كل اسبوع بحلة كوكو والجمعة من كل اسبوع بقرية الازيرقاب حتى تاليف هذا الكتاب.
* لازم حلقة الشيخ وراق عبد الرحمن وراق بامدرمان فى يوم الاربعاء من كل اسبوع كذلك له حضور فى كثير من الندوات والمحاضرات مع كثير من العلماء الاجلاء الافاضل.
* له حلقات اسبوعية منتظمة فى عدة مساجد بالجريف شرق كركوج وحلة كوكو لتدريس التوحيد والفقه وعلم المواريث.
* الحالة الاجتماعية متزوج واب لبنين وبنات

دار هايل للطباعة